

الزنبقة السوداء

عن : الكسندر دوماس
بقلم : عادل الغضبان

دار المعارف

أولادنا

١٥

الزنبقة السوداء

عن : الكسندر دوماس

بقلم : عادل الغضبان

الطبعة السادسة عشرة

دار المعارف



١

كانت هولندا فى شهر أغسطس من سنة ١٦٧٢ مسرحاً للحوادث الجسام ، فالفوضى ضاربةٌ أطنابها فى طول البلاد وعرضها ، والجيش الفرنسى محتلٌ أغلب مدنها وقُراها ، والحكم فيها قد تسلَّم زمامه حزب الفتى « جيُوم دورانج » ، والشعب ثائر على الزّعماء القدامى ولاسيما على « كرناى دى ويت » نزيل سجن العاصمة ، وعلى أخيه «جان دى ويت» الذى استقال من منصب مستشار الدولة الأعظم غداة اعتقال شقيقه .

تقلَّب « كرناى دى ويت » فى عدّة مناصب كبيرة ، فكان المفتّش العام على الأسطول الهولندى، ورئيس المجلس البلدى فى« لاهاى » عاصمة

هولندا ، ونائبًا عنها فى مجلس النواب . ولقد أبلى بلاء حسنًا فى المعارك البحرية التى شنّها على إنجلترا فى سنة ١٦٦٧ ، ولكنه مُنِىَ فى سنة ١٦٧٢ بالهزائم إبّان زحف فرنسا على هولندا ، فثار عليه الشعب واتهمه بالخيانة.

وكان شقيقه « جان دى ويت » مستشار هولندا فقاد مصايرها أحسن قيادة ، وحدّ من أطماع الحكم الفردى ولكنه لم يستطع أن يصدّ فرنسا عن غزو هولندا ، فاستفاد أتباع « جيُّوم دورانج » من ذلك الوضع ، ونادوا بإمارة « جيُّوم » على هولندا ، وأكرهوا الأخوين على إلغاء المرسوم الذى كانا قد أصدراه فى سبيل تقييد « جيُّوم دورانج » والبعد به عن أن يحكم البلاد حكمًا مستبدًّا .

وفى أثناء اضطلاع الأخوين « دى ويت » بالحكم ، أدرك كلاهما بثاقب رأيه وبعد نظره ما كان وما سيكون لملك فرنسا لويس الرابع عشر عدوّ هولندا الأكبر من شأن عظيم فى السياسة الأوربية ، فأحبَّا أن يجاملاه ويخطُبا ودّه لإنقاذ البلاد من الاحتلال الفرنسى ، والاعتماد على فرنسا فى إحباط مؤامرات الدول الأخرى . فجرت فى ذلك بين الأخوين وبعض وزراء فرنسا مكاتبات ومفاوضات ، علِمَ بها أعداء الأخوين فاستغلُّوها استغلالاً جائرًا ، وأذاعوها فى الشعب ، فعدّ اتصال الأخوين بدولة أجنبية خيانةً من الخيانات العظمى ، فانقلب عليهما وأهدَر دمهما ، ووجد فى شخص الفتى « جيُّوم دورانج » معقِد رجائه ومناط آماله ، فهتف باسمه وانتظر على يديه الخير العميم .

ولم يجد رجال الحكم دليلاً يؤاخذ به « جان دى ويت » فبقى مطلق السراح ، أما أخوه « كرناى » فقد أعوزتهم فيه أيضاً الأدلة على خيانته ، فأخذ بتهمة التآمر على حياة « جيوم دورانج » وحكم عليه بالنفى ، ولكن الشعب وقد نفث فيه أتباع « جيوم دورانج » سمومهم ، لم يرض بذلك الحكم ، فثارت ثورته وغلى فيه السخط والغضب فهب يطالب بدم السجين .

فعلى مثل تلك الحال من الاضطراب والغليان نهض سـ ـب « لاهاى » عاصمة هولندا فى صباح اليوم العشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢ . ولم تكد الشمس تطلع من خدرها ، وترسل أشعتها على تلك العاصمة الجميلة البيضاء ، حتى كان الطريق المؤدى إلى السجن غاصاً بالأهلين ، نفروا إليه مختلفى الأغراض والغايات . فقد عرفوا أن « كرناى دى ويت » سيخرج فى ذلك اليوم من السجن فى طريقه إلى منفاه ، فجاء بعضهم يلقى النظرة الأخيرة على ذلك الحاكم المعزول المنفى ، وأقبل بعضهم الآخر على عادة الجماهير وأهوائها ، يشهد حكم القدر فيمن كان بالأمس مرفوع الراية واسع السلطان ، وخف غيرهم مسلحاً بالعصى والخناجر والأعيرة النارية ليقتص من السجين ويكون جلاده ، فعقوبة النفى ما كانت لتروى منه الغليل المضطرم بالبغض والكراهية والشحناء .

واندست بطبيعة الحال فى ذلك الجمهور جماعات من أتباع « جيوم

دورانج » كانوا يتقوّلون الأقاويل ، ويخترعون الروايات عن خيانة الأخوين « دى ويت » فألهبوا حماسة الأهلين وأوْغـَروا صدورهم ، فكانوا يركضون إلى السّجن يُنزِلون اللعنات على الأخوين « دى ويت » ، ويُحيطون اسم « جيُوم دورانج » بهتاف الإجلال والنصر والتّأييد .

وإن شاء القارئ أن يعرف أيّ ضرْب من الأحاديث كان يدور بين هؤلاء الثائرين الهائجين ، بَسَطْنا له بعضها ليحكم به على بقيّتها فمن قائل :

— « سيرحل الخائن . . . سيهربُ منا ! » ومن قائل :

— « إن سفينةً فرنسيـّة تنتظره ! » ومن قائل :

— « سيعيش إذن المجرمان فى رغد وبحبوحة ، وسينفقان فى فرنسا الأموال التى سلبَانا إياها ، والأموال التى رشاهما بها لويس الرابع عشر ثمنًا لخيانتهما ! »

فما إن يسمع الجمهور مثل هذه الأحاديث ، حتى يغلى الدّم فى عروقه ويصيح :

— « هيا نمنعهما من الفرار . . . هيا بنا إلى السجن . . . هيّا بنا إلى السجن . . . »

فتنحدر تلك الأمواج من البشر إلى طريق السجن واسعة الخطى ، مرفوعة السّلاح ، جاحظة العيون .

مشى الجمهور إلى السجن ، وأسفر الدّفع والجذْب فى أثناء المسير



عن تخلف العزل وتقدم المسلحين ، حتى إذا وصل إلى مقربة من السجن اعترضت سبيله كتيبةٌ من الفرسان مدججين بالسلاح يتقدمهم قائدهم الفرنسي ، فاقترب قليلاً من الجمهور وسيفه مسلول فى يده وقال :

— « ماذا تريدون أيها السادة ؟ » فهتف الجمهور قائلاً :

— « عاش " أورانج " . . . الموت للخونة . . . » فقال القائد :

— « اهتفوا بالحياة والموت ما شئتم أن تهتفوا، على أن لا يتجاوز ذلك حدَّ الهتاف .أما إذا حدثتكم النفس بالاعتداء على أحد فسوف أحول دون ذلك بقوة السلاح ، فحراسة السجن موكولة إلىّ ، ولن يُعتدى فيه على سجين وأنا حىّ أرزق . . . »

وعاد إلى كتيبته وصاح فى رجاله :

— « اشهروا السلاح . . . »

فأطاع الجند أمره ، وسددوا بنادقهم فى هدوء ودقة ، فتراجعت طلائع الجمهور قليلاً ، فصاح القائد فيها :

— « اطمئنوا أيها السادة فلن تنطلق منا رصاصةٌ واحدة ، إلا إذا خطوتم خطوة إلى باب السجن . » فقال له رجل كان فى المقدمة :

— « ألا ترى يا سيدى القائد أننا مسلحون مثلكم بالأعيرة النارية ؟ » فقال القائد :

— « أرى ذلك يا عزيزى الهمام ، ولكن لا تنسَ أن أسلحتنا هى

البنادق لا الأعيرة النارية ، وأنها تصيب المرمى على بعد خمسين خطوة ، فى حين أن المسافة بيننا وبينكم هى خمس وعشرون خطوة فقط . . . »

فاحتدم الجمهور غيظاً وصاح :

— « الموت للخونة ! »

وفى أثناء تلك المشادّة الكلامية بين قائد الحامية وزعماء الصفوف الأولى من الجمهور ، كان « جان دى ويت » قد وصل إلى السجن من الناحية الأخرى من الشارع المؤدّى إليه ، فحجبت مركبتَه جيادُ الحامية ، ولم يلمحه الجمهور وهو يترجّل منها ويسير إلى الباب العمومى للسجن يصحبه خادمه .

مرّ « جان دى ويت » ببواب السجن ، وكان هذا يعرفه فخفّ إلى استقباله فأبرز له « جان » الترخيص الذى يسمح له باصطحاب أخيه السجين ، ففتح له الباب ثم أقفله وراءه . واجتاز « جان » صحن السجن فلقى فى طريقه فتاة شقراء فى نحو الثامنة عشرة من عمرها هى ابنة البواب فحياها قائلاً :

— « صباح الخير يا " روزا " الجميلة كيف حال أخى ؟ » فقالت :

— « بخير يا سيدى ، ولكنى أخشى أن يكون ما أصابه من التعذيب والتنكيل أخفّ وطأة مما ينتظر أن يصيبه ! » فقال :

— « أتقصدين هذا الجمهور الثائر الهائج ؟ » فقالت :

— « نعم يا سيّدى . . . أتسمع صياحهُ وصراخه ؟ » فقال :

— « اطمئنى بالاً فسوف تهدأ ثائرته عندما يرانا ، فقد خدمناه مخلصين ، ولم نقدّم له إلا الخير والعزّة . . . » فقالت وهى مبتعدة تلبيةً لإشارة أبيها :

— « ليس هذا ويا للأسف سبباً يقيكما غضب الجمهور! » فقال :

— « الحق كل الحق فى جانبك يا بنيّتى ! » .

وتابع سيره إلى مجلس أخيه وهو يقول فى نفسه : « هذه فتاة صغيرة قد تجهل القراءة ، وقد تكون أمية لا علم لها ولا معارف . ولكنها مع ذلك قد لخصت تاريخ العالم فى كلمة واحدة » .





٢

بينما كان « جان دى ويت » يصعد درجات السلّم المؤدى إلى محبس أخيه ، كانت الجماهير المتدفقة على السجن تحاول أن تخترق نطاق الحرس ، وكان القائد الفرنسي واقفاً لها بالمرصاد يفوّت عليها ما تبغي وما تضمر .

وعبثاً حاول قادة الجماهير أن يثنوه عن عزمه ويفسح لهم فى الطريق ، فكان لا يلين ولا يذعن . فلما ضاق بهم ذرعاً قال لهم :

— « يجب أن تفهموا أيها السادة ، أن الأوامر قد صدرت إلىّ بحراسه السجن ومنع كل هجوم عليه ، فلا تضطرّونى إلى استعمال السلاح فى

سبيل تنفيذ الأوامر الصادرة إلىّ . . . » فقيل له :

— « ومن أصدر إليك هذه الأوامر ؟ » فقال :

—« حكومتكم أيها السادة. . . فلن أتزحزح عن موقفى ما لم تصدر إلىّ أوامر أخرى تعفينى وكتيبتى من الحراسة . . . »

وتعالت عندئذ فى الجمهور أصوات تقول :

— « هيّا إلى المحافظة . . . لنستصدر له الأوامر التى يريد . . . »

وعلى الأثر رأى ذلك القائد نفراً من أشدّ الناس حماسة وهياجاً ، يستديرون على أعقابهم ويذهبون إلى المحافظة وهم يقولون لزملائهم :

— « سنأتيكم عما قليل بالأوامر . . . » .

وفى تلك اللحظة كان « جان دى ويت » يدخل على أخيه المحبس ، فرآه منطرحاً على الفراش خائر القوى مقفّع اليدين من جرّاء ما أنزلوه به من تعذيب ، ليحملوه على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها ، فلما لم يَشْفِ رغباتهم اكتفت المحكمة بأن تحكم عليه بالنفى .

جرى أخوه إليه فى شوق ولهفة ، فتعانق الأخوان وتبادلا القبل ثم قال « جان » والدمع يكاد ينفر من عينيه :

— « لقد تحمّلت العذاب القاسى يا حبيبى . . . » فقال « كرناى » :

— « إن آلامى كلها قد زالت عند ما رأيتك ! إنك جئت لتصحبنى أليس كذلك يا أخى العزيز ؟ » فقال « جان » :

— « أجل ! لهذا جئت يا شقيق » . فقال « كرناى » :

— « ساعدنى على النهوض يا أخى ، وسترى أنى سليمٌ معافًى أستطيع السير . . . » فقال « جان » :

— « لن تكون فى حاجة إلى السير طويلاً ، فمركبى فى انتظارنا خلف كتيبة من الجند الفرنسى يحرسون مداخل السجن . . . » فقال « كرناى » :

— « وما شأن الجند عند مداخل السجن ؟ » فقال « جان » :

— « يعلم أهل " لاهاى " أنك ستغادر اليوم السجن فى طريقك إلى المنفى ، فعهد رجال الأمن إلى تلك الكتيبة فى الحراسة خشيةً من هياج الجمهور . . . » فقال « كرناى » متسائلاً :

— « أخشيةً من هياج الجمهور ؟ ! أتكون إذن هذه الأصوات التى سمعتها الساعة دليل هياج الجمهور علىّ ؟ ! »

فهزّ « جان » رأسه هزّة الإيجاب ، فاستأنف « كرناى » الحديث قائلاً :

— « وكيف تمكنتَ من الوصول إلىّ ؟ » فقال « جان » :

— « سلكت الدروب الضيقة ! » فقال « كرناى » حزيناً :

— « أأنت يا " جان " تضطر إلى التوارى عن الجمهور بعد أعمالك الباهرة فى سبيله ؟ ! » فقال « جان » :

— « كان هدفى أن أصل إليك بأسرع ما أستطيع ، ففعلت ما يفعله السياسى والبحّار عندما يواجهان الإعصار . . . لقد تداريت من العاصفة » .

وكان دوىّ الجمهور وصياحه قد بلغ أشدّه فى تلك اللحظة فطرق مسمعَ الأخوين فسأل « كرناى » أخاه :

— « أعلىّ أنا يثور هذا الجمهور أم عليك ؟ وعلام يؤاخذنا ؟ » فقال « جان » :

— « علينا كلينْا . . . إنه يأخذ علينا مفاوضتنا فرنسا . . . » فقال « كرناى » :

— « يأخذ علينا هذه المفاوضة ولو نجحت لاستفادت منها بلادنا كل الاستفادة ، ولتجنبت كثيراً من الهزائم . . . » فقال « جان » :

— « هذا صحيح ، ولكن من لنا بالناس العقلاء الخلصاء يقدروننا قدْرنا ولا يبخسوننا أشياءنا . . . ولو أن الرسائل التى دارت بيننا وبين وزير فرنسا وقعت فى أيدى " الأورنجيين " لما رأوا فيها دليلاً على وطنيتنا وتضحيتنا فى سبيل حرية بلادنا ومجدها ، بل لعدّوها آية الآيات على خيانتنا . . . وكيفما كان الأمر فلعلك لم تنس أن تحرق تلك الرسائل قبل أن تترك مدينة " دوردرخت " لتلحق بى إلى " لاهاى " » . فقال « كرناى » :

— « إن تلك الرسائل التى كتبتها إلى وزير فرنسا ، دليلٌ أى دليل على وطنيتك وبراعتك يا أخى فى قيادة سفينة البلاد إلى شاطئ الحرية

والمجد ، فمعاذ الله أن أحرقها ! » فقال « جان » :

— « إذن لقد هلكنا فى هذه الدار الفانية ، فليس غير الله مَنْ يعلم سلامة طويتّنا وبراءة غايتنا . . . فماذا فعلت بتلك الرسائل ؟ » فقال "كرناى" :

— « سلّمتها إلى قريبنا "كرنيليوس فان باول" المقيم بمدينة "دوردرخت" » فقال « جان » :

— « لقد تجنّيتَ يا أخى على هذا الفتى المنقطع إلى العلم وتربية الأزهار ، فإنها لوديعة قاتلة ستملأ حياته بالفزع والاضطراب ، ولعله يدرك خطرها فيسلّمها إلى أعدائنا . . . »

ونهض « جان » يتمشى فى المحبس فوصل إلى النافذة ، وشاهد تلك الجموع الزاخرة الهائجة ، فالتفت إلى أخيه وقال :

— « هيّا بنا نهرب من هذا الجحيم إذا كان الهرب لا يزال فى حكم المستطاع ! » فقال « كرناى » :

— « ظننتنى لا أعرف الفتى "كرنيليوس" حق المعرفة ، ولا أعلم أن ليس على هذه الأرض شىء يشغَلُه غير التبحر فى العلم وتربية الأزهار .. لقد عهدت إليه أن يحفظ تلك الوديعة دون أن يطلع عليها ، فهو لا يدرى شيئًا من أمر ذلك السرّ الرهيب . . . » فقال « جان » :

— « هيّا إذن فلا يزال لدينا متّسع من الوقت . . . إن خادمى "كراك"

قد جاء معى وهو ينتظرنا على باب هذه الغرفة فلنبعثه بكلمة إلى "كرنيليوس" نقول له فيها ليحرِّق تلك الرسائل . . . » فقال « كرناى » :

— « أدخله إلىّ . . . »

فذهب « جان » إلى الباب ففتحه ، وكان الخادم واقفاً ينتظر ، فأشار إليه بالدخول فدخل المحبس فقال له « جان » :

— « تقدم يا "كراك" وأصغ بكل سمعك إلى ما يقوله لك أخى . . . » فقال « كرناى » :

— « الكلام لا يفيد ، فلا بدّ من الكتابة ، فإن "كرنيليوس" لن يطيع إلا الأمر المكتوب . . . فعلى هذا اتفقنا » .

ونظر « جان » إلى يد أخيه المقفعة من أثر التعذيب فقال له :

— « أتستطيع الكتابة يا أخى ؟ » فقال « كرناى » :

— « سأستطيع . . . ولكن أين الحبر والقلم ؟ » فقال « جان » :

— « خذ هذا القلم الرّصاص » .

ومدّ إليه قلمه الرّصاص فتناوله « كرناى » وقال :

— « والورق ؟ فما تركوا لى شيئاً أستعمله فى هذه الغرفة ! »

فأدار جان نظره فى أنحاء الغرفة ، فوقع على كتاب ضخم ، فتناوله فإذا هو الكتاب المقدس ، فانتزع الصفحة الأولى وقدّمها إلى أخيه وقال :

— « اكتب على هذه الصفحة البيضاء . . . ولكن خطك سيكون غير مقروء . . . » فقال « كرناى » :

— « كلا يا عزيزى ، فهذه الأصابع التى قاومت التعذيب ، ستتحد الآن وإرادتى القوية التى قاومت الألم ، لأخطّ بهما كلمات جليّة واضحة لا هزّة فيها ولا ارتجاف » .

وأخذ « كرناى » الورقة وكتب على صفحتها البيضاء ما يلى :

« عزيزى "كرنيليوس" .

أحرق رزمة الرسائل التى استودعتك إياها . أحرقها دون أن تفتحها لتظل جاهلاً ما تحتوى عليه ، فالأسرار التى فيها كفيلة بأن تميت الحافظ لتلك الأوراق ، أحرقها تنقذنى وتنقذ أخى " جان " . أودّعك وأستودعك الله .

" كرناى دى ويت "

كتب فى العشرين من أغسطس سنة ١٦٧٢ » .

تناول « جان » الورقة ، فطواها وسلمها إلى خادمه « كراك » وزوّده بالتوصية اللازمة ، فطار بها الخادم ، ثم التفت « جان » إلى أخيه وقال :

— « والآن هيا بنا نرحل . . . »



٣

فى الوقت الذى كان فيه الأخوان « دى ويت » يتحدثان عن شؤونهما ومصيرهما ، كان أولئك النَّفَر من المتظاهرين الذين قرّروا الذهاب إلى المحافظة ، يجدّون فى السير إليها بُغْيَةَ الحصول من حكام المدينة على إلغاء الأمر الصادر إلى القائد الفرنسى بحماية السجن .

وكان فى جمهور الثائرين شاب يرى ويسمع كمن يراقب الحوادث دون الاشتراك فيها ، فلما رأى تلك الزُّمرة تتَّجه إلى المحافظة ، تبعها عن كَثَبٍ ليعرف ما ستؤول إليه خاتمة المطاف .

وتدلّ ملامح ذلك الشاب على أنه فى نحو الثانية والعشرين من العمر

وكان لا يبدو من وجهه الملثَّم غير عينيه البراقتين ، وأنفه الأقنى ، ولا شك أن هناك أسباباً قد حملته على التلثُّم والتخفِّى ، وكانت تلوح عليه مع ذلك علامات القلق والجزَع ، تُلْحَظ من الأحاديث العامة التى كان يتبادلها مع ضابط مرافق له .

وصلت الزُّمْرة إلى دار المحافظة ، فتعالى هتافها وصياحها ، فخرج إليها رجل يحدثها من شرفة الدار ثم اشتد الجدال بين ذلك النائب ، وزعيم الزمرة ، وكان النائب لا يفتأ يقول :

— « أيها السادة ! إن زملائى غير موجودين الآن فى المحافظة ، ولا أستطيع أنا وحدى أن أصدر الأمر الذى تطلبون . . . »

وما لبثت تلك الزمْرة أن انضم إليها مئات من الناس العابرين أو الراجعين من ميدان السجن فردّدوا جميعاً صائحين :

— « الأمر . . . الأمر . . . »

وحاول النائب أن يتفاهم مع هؤلاء الهائجين فما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولشدّ ما اضطرب وانزعج عندما رآهم يخترقون باب المحافظة ويتدفّقون منه إلى داخل الدار .

وما هى إلا دقائق معدودات حتى ارتجّت أركان المحافظة ، وارتجّ معها الفضاء بالهُتاف والدّوِىّ ، وتدفّق الناس خارجين من المحافظة وعلى رأسهم رجل قد ارتسمت على وجهه كل ما يمكن أن يرتسم على الوجوه من

أمارات الفرح الوحشيّ والغِبْطة الجشعة ، وفى يده ورقة يلوّح بها للجمهور ويقول :

— « الأمر . . . الأمر . . . لقد حصلنا عليه . . . ها هو ذا . . . »

ولم يستطع الضابط المرافق لذلك الفتى والذى يخاطبه بعبارات السمو والسيادة أن يخفى اضطرابه وإشفاقه فقال :

— « مولاى ! إن هذا الأمر الذى حصلوا عليه معناه الحكم على " دى ويت " بالقتل ! » فقال الفتى :

— « هيَّا نرجع إلى ميدان السجن لنحضر الخاتمة » .

وسار الفتى يتبعه ضابطه ، وتقدَّمتهما الجماهير إلى مَيْدان السجن ، واقترب الزُّعماء من القائد الفرنسى وأبرزوا له الأمر الذى حصلوا عليه ، ويقضى ذلك الأمر بأن يتنحَّى القائد وكتيبته عن التعرض للجمهور فى دخول ساحة السجن . فدهش القائد من ذلك الأمر كلَّ الدَّهش ، وما وسعه إلا أن يطوى الورقة ووضعها فى جيبه ، وأصدر الأمر إلى كتيبته بالتقهقر والانصراف ، وسار هو فى مؤخرتها وهو يقول فى نفسه : « يالكم من سفَّاكين ! »

وقُبَيْل أن يعود هؤلاء الثائرون من دار المحافظة ومعهم الأمر الذى انتزعوه من النائب « بولت » انتزاعًا ، كان « جان دى ويت » وأخوه « كرناى » قد نزلا من المحبس ووصلا إلى ساحة السجن ، فلقيتهما فيها



الفتاة « روزا » وهرعت إليهما مضطربةً خائفة ، وأخبرتهما أن بعض المتظاهرين قد ذهبو إلى دار المحافظة ليستصدروا منها أمراً بتنحية الحامية عن مدخل السجن ، ولعلهم عادوا منها الآن بذلك الأمر . فمن الخطر الجسيم أن يخرجا من الباب العمومى للسجن ، فإنهما واقعان لا محالة فى أيدى ذلك الجمهور الثائر .

فشكر لها « جان دى ويت » رقيق شعورها وقال :

– « لا مناص لنا يا آنسة من الخروج ، فإن ذهبت الحامية فليس السجن بآمن لنا من الشارع . . . » فقالت الفتاة وقد علت محياها حمرة الخَفَر والحياء :

– « من صواب الرأى ، يا سيِّدىّ ، أن تخرجا من الباب الصغير المؤدى إلى الشارع الضيق فليس فيه أحد ، وهذا الباب الصغير وإن يكن محكم الإغلاق مهجور الاستعمال ، فسأفتحه لكما وتخرجان منه إلى الباب الذى تؤثرانه من أبواب المدينة . . . » فقال لها « جان » :

– « إنك لمَلَك كريم يا فتاتى . . . غير أن أخى عليل لا يستطيع السير ، ومركبتى تنتظرنا قرب الباب العمومى للسجن . . . » فقالت الفتاة :

– «أعرف ذلك ولكننى قدّرت أن سائق مركبتك لا بدّ أن يكون رجلاً أميناً مخلصاً لك ياسيدى ، فطلبت إليه أن ينتظركما عندالباب الصغير» .

فتبادل الأخوان النظرات ثم حوّلاها ناطقةً بالشكر والجميل إلى تلك

الفتاة الكريمة ، فأخرجت هذه من جيبها مفتاحاً وقالت :

ـ « ها هو ذا مفتاح الباب الصغير ، اختلسته من أبى لأنى أعلم أنه سيمانع فيما رأيت ودبّرت . . . » فقال « كرناى » :

ـ « لا أملك شيئاً يا فتاتى أستطيع أن أكافئ به جميلك ، إلا نسخة الكتاب المقدس تركتها فى محبسى ، فخذيها على سبيل التذكار لعلها تجلب لك الحظ والهناءة . . . » فقالت :

ـ « سأحتفظ بهذه النسخة يا سيّدى "كرناى" فلن تفارقنى ليل نهار . . . » ، ثم قالت لنفسها :

ـ « من سوء حظى أنى لا أعرف القراءة ! . . . » ثم استأنفت الحديث وقالت :

ـ « لقد ازداد هياج الشعب فالوقت ضيّق فاتبعانى . . . »

وسارت الفتاة بالرّجلين فى ممرات وأروقة ضيّقة ، ثم نزلت بهما درجات سلّم ملتوية ، فكانا بعد قليل خارج السجن فى الجهة المقابلة للباب العمومى وكانت المركبة فى انتظارهما فبادرهما الحوذى قائلاً :

ـ « أسرعا يا سيّدى أسرعا ، فقد جُنّ القوم جنونهم فهم يحطمون الآن الباب العمومى للسجن . . . »

فودّع الرجلان الفتاة « روزا » ، وخفّا إلى المركبة فاستويا فيها وانطلقت بهما إلى باب المدينة المؤدّى إلى الميناء ، ليركبا منه السفينة التى كانت فى انتظارهما .

وعادت الفتاة إلى أبيها فوجدته حيران مضطربـًا ، لا يدرى أيفتح باب السجن للمتظاهرين أم يتركهم يحطمونه ، فأقنعته ابنته بأن يدعهم يحطمونه ، فلو فتحه لهم لما نجا من غضبهم وسخطهم ، فصواب الرأى أن يُهْرَعا فى هذه الأثناء إلى المخبأ السرّى ويتواريا فيه . فكان ما أرادته الفتاة .





٤

حطم الجمهور باب السجن واندفع إلى الداخل يصيح ويصرخ « الموت للخائن ! الموت للخائن ! » ، ولكنه لم يكد يصل إلى محبس « كرناى دى ويت » ويراه خالياً خاوياً حتى تملكته سَوْرة من الغضب والهياج ، وانقلب ذلك الجمهور الثائر إلى وحوش ضارية تزأر وتخور قائلة : « لقد هرب الخائن . . . لقد دبَّروا له الفرار » .

وخرج المتظاهرون من السجن وهم على أشدّ ما يكونون من الهياج والانفعال ، وسرى الخبر فى الجمهور كله فاستقبله بالشتائم واللعنات ، والسخط والوعيد ، ولعل الضابط المرافق للسيد الفتى كان الوحيد الذى سره

الخبر ، فما كان ضميره ليرتاح إلى سفك دم رجل قضت المحكمة عليه بالنفى ليس إلا . . . على أن سيده الفتى لم يكن يشاركه فى ذلك السرور ، فقد بدأ العرق يتصبَّب من جبينه ، وشرر الغضب يتَّقد فى عينيه فقال لرفيقه الضابط :

— « لئن هرب "كرناى" من السجن إنه لن يهرُب من المدينة ، فأبوابها كلها لا شك مقفلة ، ولن يتجاوزها أحد إلا بإذن خاص » .

فقال الضابط مدهوشاً :

— « أأصدرت يا مولاى مثل هذا الأمر ؟ ! »

فلم يُحِر الفتى جواباً ، وشغله صياح الجمهور عن الجواب . ولقد جرت الأمور بحيث توقَّع أو قدَّر ، فما كادت مركبة الأخوين «دى ويت» تصل إلى مقربة من باب المدينة المفضى إلى الميناء حتى صاح السائق مذعوراً :

— « الباب مقفل يا سيدى ! »

فأطل « جان » من نافذة المركبة فرأى الباب مقفلاً ، فأوجس شرًّا ، فما جرت العادة أن يقفل الباب فى وضح النهار ، غير أنه أمر السائق بمتابعة السير إليه فلا بد أن يذعن البواب لأمر الخروج الذى يحمله « جان » فى جيبه .

وصلت المركبة إلى محاذاة الباب ، فطلب « جان » من البواب أن

يفتح لهم الباب وأبرز له الأمر الذى يحمله، فاعتذر البواب فى أدب واحترام وقال :

— « لا سبيل يا سيدى إلى فتح الباب فليس معى المفتاح » . فقال « جان » :

— « وهل يكون المفتاح مع غيرك وأنت المنوط بك حراسة الباب ؟ » فقال البواب :

— « سيدى، لقد جاءنى فى هذا الصباح الباكر فتى فى نحو الثانية والعشرين من عمره ، وقدّم لى أمراً مختوماً موقعاً عليه من مجلس الحكام بتسليمه مفتاح الباب بعد إغلاقه فأذعنت للأمر ! »

فشكره « جان » وأمر السائق أن يرجع القَهْقَرَى ويطير إلى أقرب باب آخر للمدينة ، فنفّذ أمر سيده ولكنه لم يكد يجتاز منتصف الشارع حتى وقف المركبة وصاح وهو يضطرب خوفاً وذعراً :

— « سيدى . . . سيدى . . . انظر . . . انظر . . . »

فنظر « جان » من نافذة المركبة فرأى مئات من الناس مندفعين نحوهم ، وكانوا فريقاً من الذين بحثوا عن « كرناى دى ويت » ، فى السجن فلما لم يجدوه فيه تفرقوا جماعات تجدّ فى أثره .

وأدرك « جان » أنه وأخاه هالكان لا محالة فقال للسائق :

— « انجُ بنفسك يا صاحبى واتركنا لمصيرنا المحتوم ! »

فتردد السائق هنيهة بين البقاء والفرار ، وكان الجمهور الثائر قد وصل إلى المركبة فآثر السائق الفرار .

وكان أول عمل قام به رجل من الهاجمين أن أهوى بفأسه على جوادى المركبة فصرعهما وسقطا فى بركة من الدماء .

وفى هذه اللحظة فتحت نافذة أحد المنازل فتحاً قليلاً ، وبدا منها وجه الفتى الذى رأيناه يتعقب الجمهور ويشهد الحوادث ، فكان شاحب الوجه ممتقع اللون ، يسرح بصره فى الجمهور المحيط بالمركبة كمن يريد أن يشهد خاتمة الرواية ، وظهر وراءه ضابطه وكان يفوقه شحوباً وامتقاعاً فقال :

– « انظر يا مولاى انظر . . . إنهم ينزلون "جان دى ويت" من المركبة . . . إنهم يضربونه ... إنهم يمزقونه . . . إنهم يبقرون بطنه ... ويذبحونه ذبح النعاج . . . يا للفظاعة ! » فقال الفتى بلهجة هادئة ساكنة .

– « لا بد أن يكون شعور السخط والثأر هو الذى يحفزهم إلى هذا العمل ! » فقال الضابط :

– « انظر يا مولاى إنهم ينزلون الآن "كرناى دى ويت" من المركبة » .

ولم يستطع الضابط أن يتم حديثه فتراجع إلى الوراء ، فقد أهوى أحد الثوار بهراوة من الحديد على رأس « كرناى دى ويت » فحطمه تحطيماً

وسقط صاحبه صريعاً ، ولم يكتف الثائرون بذلك بل جرّوا جثّته إلى وسط الشارع ، وأخذو يدوسونها بالأقدام ويعملون فيها المُدَى والخناجر .

وما وسع ذلك الفتى الذى كان يشهد تلك الفظائع من علٍ إلا أن يُغمض قليلاً جفنيه من هول ما رأى ، ثم استعاد سريعاً خلقه الصّلب القاسى فالتفت إلى ضابطه وقال :

— « اذهب فى الحال يا كولونل وأبلغ جنودى أن يعمدوا إلى السلاح تأهبًا للطوارئْ » .

فطار الكولونل ينفّذ أمر « جيُّوم دورانج » ، فما كان هذ الفتى إلا « جيُّوم دورانج » نفسه ، وعاد إليه بعد قليل يخبره أن الجيش على قدم الاستعداد .

وغادر « جيوم دورانج » بعد ذلك مدينة « لاهاى » يتبعه ضابطه الكولونل وقد امتطيا جوادين فارهين ، وخرجا من نفس الباب الذى امتنع على الأخوين « دى ويت » . وحدثْ ولا حرج عن اضطراب البوّاب لما عرف أن الفتى الذى أخذ منه مفتاح الباب فى ذلك الصباح كان أمير البلاد .

وانطلق الفارسان ينتهبان الأرض انتهابًا إلى مدينة « ليدن » .



٥

عندما كان أهل مدينة « لاهاى » يمثّلون بالأخوين « دى ويت » ويكيلون لهما الطّعن والضّرب ، كان « كراك » الخادم الأمين قد خرج من المدينة من أحد أبوابها المهجورة متجهاً إلى مدينة « دوردرخت » بالرسالة التى يحملها .

ولقد اجتاز الطريق تارة على جواد اكتراه ، وتارة أخرى متنقلاً من مركب إلى مركب عَبْرَ الجزائر الجميلة لكيلا يثير حوله الرّيب والشكوك . وما زالت هذه حاله حتّى بدت له مدينة « دوردرخت » بجداولها الباسمة وأزهارها الضاحكة ، ومنازلها البيض المرصّعة بالآجُرّ الأحمر ، وتلالها

المزركشة بالطواحين ، فنزل بها وسار توا إلى المنزل الذى يقصده.

وكان هذا المنزل يسكنه شاب سعيد فى الثامنة والعشرين من عمره هو الدكتور « كرنيليوس » ، فما كان يحفل بشىء فى هذا العالم إلا بأبحاثه العلمية ، وتربية الأزهار والرياضة ، معتمداً فى ذلك على ثروة تركها له أبوه ، وكان قد جمعها من تجارته فى الهند. ولقد حدته عنايته بتربية الأزهار إلى الغرام بصنف من الزنبق يسمى « التوليب » . ولم يكن الوحيد فى هذا الغرام ، فأهل هولندا كلهم كانوا مثله فى ذلك العصر هياماً بذلك الصنف من الزنبق الوارد لهم من أقاصى الشرق ، غير أن الدكتور « كرنيليوس » كان أقدر من سواه على أن يبذل فى سبيل تلك الزنبقة الوقت والمال ، فأنبت منها الأشكال والأنواع ، وأصبحت المدينة ، بل هولندا كلها ، لا تتحدث إلا فى زنابق الدكتور « كرنيليوس » .

واتفق أن كان للدكتور « كرنيليوس » هذا جار معنى هو أيضاً بتربية « التوليب » ، غير أن ضيق ذات يده لم يكن يسمح له بالإنفاق على ذلك الهوى أو المهنة ، فكان الوحيد الذى يضمر للدكتور « كرنيليوس » الحسد والبغضاء ، ويضطرم شوقاً إلى معرفة التجارب التى يجريها جاره فى الطبقة العليا من منزله ، وكانت ممتلئة بآنية الزهر والبزور وبالخزائن المفعمة رفوفها بالكتب والدفاتر . فكان إذا هبط المساء ، أسند إلى الحائط المشترك بينه وبين جاره الدكتور « كرنيليوس » سلماً يصعد فيه درجة درجة ،

حتى إذ وصل إلى آخره سدّد منظاره الطويل إلى غرفة جاره المخصصة بزهر « التوليب » ، واجتهد أن يحرز كل ما يفيده من زراعة هذا الضرْب من الزنبق ، يتخذها جاره هوًى وترفًا ويتخذها هو صناعة ومورد رزق .

وكلما مرت الأيام ازداد الدكتور « كرنيليوس » نصراً وفوزاً فيما كان يستنبط من أصناف « التوليب » ، وازداد جاره وكان يسمّى « إسحق بوكستل » حسداً وضغينة . فكم ودّ لو يهجم على دار الدكتور ويقلب حديقته العالية رأساً على عقب ، ويُرْوى غليله برؤية أزهار جاره مخنوقة مَدُوسة .

وظلت نار الحسد تأكل قلب إسحق حتى عمد إلى الحيلة فى إلحاق الأذى بجاره ، فجاء ذات ليلة بقِطّين ، وربط رجل كل واحد منهما بخيط واحد طويل بعض الطول ، ورماهما إلى منزل جاره من الحائط المشترك ، فهبطا أولاً إلى الحديقة ، ثم تولاّهما الرّعب فحاول كل قطّ أن ينجو بنفسه ، فكان الخيط المربوط به القطّ الآخر يحول بينه وبين الهرب ، ويدفعه إلى الناحية المقابلة . وبقى القطان فى كر وفر يعيثان فساداً فى كل ما مرّا عليه ، ويملآن الليل مُواء حتى انقطع الخيط وفرّ كلٌّ إلى جهة .

وقضى إسحق ليلته ساهراً ينتظر طلوع الصباح ليرى الفساد الذى أحدثه القطان فى حديقة جاره ، فما إن برزت الشمس من خِدْرها حتى أخذ يختلس النظر من فوق السور إلى حديقة الدكتور « كرنيليوس » ، فلم

يجد فيها من آثار التخريب ما يشفي حزازة صدره ، وزاده غماً أن رأى الدكتور مقبلا على حديقته يصلح فيها بعض الآنية والأزهار ، غير مكترث ولا مبال ، وسمعه لما علم من الخدم أنهم سمعوا فى الليل مُواء قطط ، أصدر أمره ببناء كوخ فى الحديقة ينام فيه غلام من الخدم ليطرد عنها القطط إذا عادت إليها مرة أخرى ، فجُنّ إسحق غيظًا ، وأخذ يفكر فى وسائل أخرى يؤذى بها جاره الغنى الفيلسوف العالم .

وعندما أذاعت الجمعية الزراعية فى مدينة « هارلم » أنها خصصت جائزة كبيرة قدرها مئة ألف « فلوران » تمنح لمن يوفّق إلى إنْبات زنبقة سوداء صافية الأديم خالية من العيوب ، سال لعاب إسحق لهذا الخبر ، وصمّم أن يحيط هذه المسألة بما يستطيع من جهد وخبرة . ثم علم أن جاره الدكتور « كرنيليوس » قد عُنِيَ أيضًا بهذا الابتكار أو الاستنباط ، فأصبح يكثر من التلصّص عليه ومراقبة حركاته وسكناته ، مستعينًا بالسلّم والمنظار ، فى الوقوف على دقائق ما يفعل ذلك العالم

واعتنق الدكتور « كرنيليوس » فكرة إنبات تلك الزنبقة السوداء ، لا كسبًا للجائزة فهو من فضل الله وفضل والده فى سعة وغنى ، ولكن ظفراً بمجد عظيم سيسجل اسمه فى سجل الخالدين. فاستطاع أولاً بعد تجارب ودراسات وأبحاث ، أن يحوّل اللون الأحمر إلى لون بنىّ غامق ، فى حين كان جاره إسحق لم يصل فى تجاربه إلا إلى اللون البنى الفاتح. فسمّ العمل

وحصر همه فى التلصص والمراقبة .

كان الدكتور « كرنيليوس » يقضى سحابة نهاره فى الحديقة ، حتى إذا انتصف الليل صعد إلى مكتبه واستسلم إلى البحث والدرس ، فيراه إسحق من وراء منظاره ينتخل حبوبه وبزوره ، ويسقيها ببعض السوائل التى تحيلها من لون إلى لون ، ويعرض بعضها إلى أشعة النور ، ويحفظ بعضها الآخر فى أغلفة سوداء لا يتسرّب إليها النور ، فيتمنّى لو استبدل بالمنظار عياراً ناريّاً يطلقه على ذلك المنافس العنيد .

وفى شهر يناير ١٦٧٢ جاء « كرناى دى ويت » يزور مدينة « دوردرخت » مسقط رأسه ، ويقف فيها على أحوال أسرته التى باعدته السياسة عنها زمناً طويلاً ، فعرّج ذات مساء على منزل قريبه الدكتور « كرنيليوس » ، وكانت صلته بهذا الشاب أكثر من صلة القرابة ، فقد كان له الأب والأم بعد موت والديه ، ورعاه رعاية مستمرة ، وأحبَّ أن ينتظمه فى السلك السياسى ، ويعيّنه فى أحد المناصب الكبرى ، غير أن الفتى آثر الاشتغال بالعلم محقّقاً منقّباً باحثاً فتركه يعمل على هواه .

وصحبت زيارة « كرناى » لقريبه « كرنيليوس » جلبة وضوضاء ، فالرجل كان لا يزال فى ذلك الحين أثيراً فى قلوب الناس ، لمّا ينحدر نجمه إلى الأفول ، فهرع إسحق يستطلع شأن تلك الضجة ، فعلم بأمر الزيارة ، فطار إلى مَرْقبه فى المنزل يسلّط منظاره على الزائر والمزور ، فرآهما يطوفان



فى أنحاء المنزل ، ويستعرضان ما فيه من أزهار ورياحين ، ثم يصلان إلى مكتب الدكتور « كرنيليوس » فينفردان فيه دون الخدم والحشم .

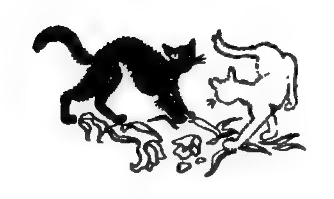
ورأى إسحق وهو فى مَرْقَبه أن « كرناى دى ويت» بعد أن تحدَّث قليلاً مع قريبه ، أخرج من جيبه رُزْمة أوراق ودفعها إلى « كرنيليوس » ، فأخذها هذا ووضعها فى إحدى الخزائن . وظن إسحق لأوّل وهلة أن هذه الرّزمة من الأوراق لا شكّ تحتوى على أسرار الزّنبقة السوداء، ولكنه عاد وقرّر فيما بينه وبين نفسه أن « كرناى دى ويت » ما كان يومًا من هُواة تربية الأزهار ، فمشاغله السياسية لا تسمح له بالتفرغ لمثل هذا العمل ، فلا بدّ أن تحتوى إذن هذه الأوراق على سرّ من أسرار السياسة ، ولا بد أن تكون على جانب كبير من الخطر . ولئن أودعها رجلاً لا يمتّ إلى السياسة بصلة من الصّلات ، إن ذلك دليل على الإمعان فى الحرص والاحتراس ، فالدكتور « كرنيليوس » معروف بانقطاعه إلى العلم وتبحره فى البحث والتنقيب ، فلن ترقى إليه الريَب . ولن يخامر أحداً الظن أن لديه وديعة خطيرة من الأسرار السياسية .

واستسلم إسحق إلى التعليل والاستنتاج ، فوثق كل الوثوق أن تلك الرّزمة لا تنطوى على شىء من بزور الرياحين ، وإلا كان « كرنيليوس » فتحها فى الحال ليمتّع نفسه وقلبه وبصره بما تحتوى ، فوراء الأكمة إذن ما وراءها .

ولقد صدق حَدْس إسحق وتخمينه : فتلك الرُّزْمة من الأوراق هى

الرسائل التي تبادلها « كرناى دى ويت » مع وزير من وزراء فرنسا ، ولكنه لم يذكر للدكتور « كرنيليوس » عن مضمونها شأناً ، سوى أنه أوصاه أن لا يسلّمها إلا إليه أو إلى من يحمل كلمة منه .

ومرّت الأيام ونسى الدكتور « كرنيليوس » أمر تلك الرزمة من الأوراق ، فما كان يكترث إلا لعلمه الذى يقضى فيه نهاره كله وقسطاً كبيراً من ليله ، على أن جاره كان فى همّ مقْعِد مقيم ، يتحرّق شوقاً إلى معرفة مضمون تلك الرزمة ، تحرُّقه إلى معرفة الشوط الذى وصل إليه جاره فى إنبات الزنبقة السوداء .





٦

فى اليوم العشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢، فى ذلك اليوم الذى شهدت فيه العاصمة مصرع الأخوين « دى ويت » ، كان الدكتور « كرنيليوس » فى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر جالساً إلى منضدته فى مكتبه ، يحملق فى بزور ثلاث انتزعها من بصلتها وكانت وليدة العلم والطبيعة ، فقد توصّل بعد البحث والتجربة إلى إثبات بزور ثلاث لو زرعت لنتجسّم عن كلّ واحدة منها زنبقةٌ سوداء .

كان « كرنيليوس » يحدّق إلى بزوره فيراها ولا يراها ، فقد طار به الفكر كل مطير ، وأخذ يناجى نفسه بمثل هذه المعانى : « لقد وفّقتُ إلى

طريقة الحصول على الزنبقة السوداء . . . سيهتز العالم بأسره لهذا الكشف..
سيتردّد اسمي فى أنحاء العالم . . . سأظفر بالجائزة . . . سأوزّعها على
الفقراء . . . أو أخصّص منها جزءاً لسياحة طويلة إلى بلاد الشرق منبت
الأزهار والرّياحين . . . سأسمّى الزنبقة السوداء باسمى وسأكون من
الخالدين . . . »

وبينما كان هذا العالم الشاب يناجي نفسه بمثل هذه الأفكار ، كانت
المدينة قائمةً على قدَم وساق ، فكتائب الجند تذرَعها من الشمال إلى
الجنوب مشهورة السلاح ، خفاقة الأعلام ، مدويّة الطبول ، وكانت
المنشورات العسكرية توزّع على الأهلين وتخبرهم بالانقلاب الذى حدث
فى « هولندا » ، وبأن الأمير « جيُّوم دورانج » قد تسلم زمام الحكم ،
وتطلب إليهم الإخلاد إلى السكينة والهدوء . . .

وكان « كرنيليوس » يطرق مسمعه ذلك الدوىّ فلا يحفل به ، ويستمرّ
فى المناجاة ويقول فى نفسه : « سأدرس بعد ذلك كيف أستنبط طريقة
أضمّخ بها الزنبقة السوداء بالطيب والعطر . . . آه لو أستطيع أن أجعل
فيها عطر الورد أو عطر القرنفل . . . » .

وفى غُمار تلك الأحلام والأمانى ، دُقّ الباب دقًّا عنيفًا انتزع
« كرنيليوس » من سبَحات خياله ، ثم سمع نقراً على باب مكتبه ،
فتجفّل ووضع يديه فوق البزور الثلاث ، والتفت إلى ناحية الباب وقال :

— « من القارع ؟ » فردّ عليه الخادم .

— « رسول من "لاهاى" فقال :

— « وماذا يريد هذا الرسول ؟ ومن هو » ؟ فقال الخادم :

— « إنه "كراك" خادم السيد "جان" يا سيدى » . فقال :

— « لينتظر قليلاً . . . »

وعلى حين غِرّة فتح الباب ودخل منه « كراك » وهو يقول :

— « عذراً يا سيدى فلا يسعنى الانتظار . . . »

واضطرب الدكتور « كرنيليوس » لهذه المباغتة ، وأراد أن يحمى بزوره الثلاث من خطف الخاطفين ، فأتى بحركة عصبية أطارت بزرة إلى الموقد ، ودحرجت الثانية إلى الأرض فاستقرّت تحت منضدة مجاورة للمنضدة الكبيرة الجالس إليها الدكتور « كرنيليوس » ، وبقيت الثالثة حيث كانت .

فلما دخل « كراك » مشى إلى الدكتور « كرنيليوس » ، وأخرج من جيبه ورقة وضعها على المنضدة الكبيرة حيث كانت البزرة الثالثة وقال :

— « يجب يا سيدى أن تقرأ هذه الورقة فى الحال » .

وانصرف « كراك » توّاً بعد ذلك فقد سمع قرع الطبول فظن أن فى المدينة هياجاً مثل الذى تركه فى « لاهاى » . وانكبّ « كرنيليوس » يبحث عن بزرتيه وهو يقول :

— « حسن سأقرأ ورقتك . . . » .

وجد « كرنيليوس » البزرة التى تدحرجت تحت المنضدة ، فالتقطها بحبّ وإجلال ، وحملق فيها وسرّه أنها لم تصب بسوء ، ثم استدار إلى الموقد وجثا على ركبتيه ومد أصابعه تبحث فى الرّماد البارد عن البزرة التى طارت إلى الموقد ، فعثر عليها وسره كذلك أن تكون سليمة .

وبينا هو فى وضعه ذاك ، فتح الباب عنوة فصاح مُحنْقًا فى وجه الخادم الداخل إليه :

— « وماذا أيضًا ؟ » فقال الخادم :

— « الفِرار . . . الفرار يا سيدى ! » فقال :

— « أأهرب أنا ؟ ولماذا ؟ » فقال الخادم :

— « المنزل امتلأ برجال الشرطة . . . » فقال :

— « وماذا يريدون ؟ » فقال الخادم :

— « إنهم يبحثون عنك يا سيدى لاعتقالك ! » فقال :

— « اعتقالى أنا ؟ »

وأطبق الدكتور « كرنيليوس » أصابع يمناه على البزرتين محافظة عليهما ، ودخلت عندئذ مربيته وهى تصيح :

— « إنهم يصعَدون إليك فاهرُب . . . اهرُب . . . اقفِز من النافذة فلن تصاب بأذى فالأرض مبلولة ! » فقال « كرنيليوس » :

— « ولكننى سأقع على أزهار الزنابق ! » فقالت المربية:

— « ليكن ! . . . »

فتناول « كرنيليوس » البزرة الثالثة ، وفتح النافذة وألقى ببصره إلى الحديقة فبدت له الزنابق مزدهرة منسَّمة فعاد منها وقال :

— « كلا ! لن أحطم هذه الأزهار ! »

وفتش بعينيه عن شيء يجمع فيه البزور الثلاث ، فوقع نظره على الورقة التى كان « كراك » قد وضعها على المنضدة الكبرى ، فأنساه اضطرابه شأن تلك الورقة والرسول الذى جاء بها ، فالتقطها ولفّ بها البزور الثلاث ، ودسَّها فى صدره ، وانتظر وصول الشرطة ، فما عتَّم رئيسهم أن دخل الغرفة وقال :

— « أأنت يا سيدى الدكتور " كرنيليوس فان باول " ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « نعم أنا هو ، وإنك لتعرفنى حق المعرفة يا سيدى ! » فقال رئيس الشرطة :

— « إذن سلمنا ما عندك من أوراق الشَّغَب والعِصْيان والخيانة ! » فقال « كرنيليوس » مدهوشاً :

— « أوراق شَغَبَ وعِصيَان وخيانة ؟ ! » فقال رئيس الشرطة :

— « لاتحاول الإنكار ،ولاتظهر بمظهر المتجاهل ! »فقال« كرنيليوس» :

— « أقسم لك بشرفى يا سيدى إنى أجهل ما تريد ! » فقال رئيس الشرطة :

— « سأساعدك على الفهم . . . سلّمنا الأوراق التى أودعك إياها فى شهر يناير الماضى الخائن "كرناى دى ويت" » !

فلمع بصيص من النور فى ذهن « كرنيليوس » ، ولمح رئيس الشرطة أن الرجل قد سكت وأخذ يفكر فقال له :

— « لعلك تذكّرت . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « نعم تذكّرت . . . ولكنك تقول أوراق شَغَب وعِصْيان وخيانة ، وليس عندى شىء من هذا الذى تقوله » .

وسرّح رئيس الشرطة بصره فى أنحاء الغرفة ثم اقترب من إحدى الخزائن وقال :

— « هل لك أن تفتح هذه الخزانة ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « حبًّا وكرامة . . . »

ولما فتح الخزانة بدت رزمة الأوراق التى كان «كرناى دى ويت» قد دفعها إلى « كرنيليوس » فوضعها فى هذه الخزانة فقال رئيس الشرطة :

— « هل لك أن تسلّمنا هذه الرزمة من الأوراق ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « لا أستطيع يا سيدى فإنها وديعة عندى والودائع مقدسة ! » فقال رئيس الشُّرطة :

— « يا سيد "كرنيليوس" باسم الدولة آمرك بتسليمى هذه الأوراق» !

وبقى الدكتور « كرنيليوس » جامداً ساهم النظر لا يتحرك ، فتناول رئيس الشرطة رزمة الأوراق ، وفض غلافها ، وألقى عليها نظرة سريعة اطمأن بها إلى محتواها ثم قال :

— « إنها هى . . . فالبلاغ الذى تلقته الدولة لم يكن كاذباً ! »

فدهش « كرنيليوس » لدى سماعه هذا الكلام وسأل رئيس الشرطة :

— « بلاغ ؟ ! وأى بلاغ ؟ ! » فقال رئيس الشرطة :

— « باسم الدولة ألقى القبض عليك يا سيد "كرنيليوس فان باول" »

فقال « كرنيليوس » :

— « تلقى القبض على ؟! ولماذا ؟ » فقال رئيس الشرطة :

— « ليس من مهمتى أن أبدى لك الأسباب ، فذلك من اختصاص القضاة فعليك أن تدافع عن نفسك أمامهم » .

فاستسلم « كرنيليوس » وهو مستغرب مدهوش ، وقبل مربيته التى كاد يغمى عليها ، وصافح خدمه المجهشين بالبكاء ، وسار أمام الشرطة إلى مركبة كانت تنتظره عند باب منزله ، فأركبوه فيها وطاروا به إلى « لاهاى » العاصمة .



٧

ليس من العسير على القارئ أن يعرف صاحب ذلك البلاغ الذى كان سبب اعتقال الدكتور « كرنيليوس » ، إنه جاره إسحق الممتلئ صدره بالحسد والحزازة . علم بالحكم الصادر على « كرناى دى ويت » وخيل إليه أنه لو أمكن اعتقال الدكتور « كرنيليوس » بسبب من الأسباب لخلا له الجو ، وتخلص من مزاحم قوى ، ولا سيما أن الدكتور كان قد أذاع فى بعض أصحابه أنه قد وفق إلى استنباط الطريقة التى يستطيع بها إنبات الزنبق الأسود ، فماذا عليه إذن لو غُيِّب فى السجون . وماذا على إسحق لو دلف إلى منزل غريمه ، وبحث عن البزور التى تنبت الزنبقة السوداء واستولى عليها ثم زرعها وظفر بالجائزة .

ولم يجد إسحق خيراً من الوشاية تحقّق له أغراضه ومطامعه ، فبعث فى اليوم التاسع عشر من أغسطس برقية إلى حكومة العاصمة غُفْلاً من التوقيع ، ذكر لها فيها أن الدكتور « كرنيليوس » يحتفظ بأوراق خطيرة تثبت خيانته وخيانة « كرناى دى ويت » ووصف منزل الدكتور وصفاً دقيقاً ، وأشار إلى مكان الخزانة المحفوظة فيها تلك الأوراق فكان ما كان .

ولزم إسحق منزله فى اليوم الذى اعتقل فيه جاره ولم يخرج منه ، فلما انتصف الليل ألقى بسمعه إلى منزل جاره ، فراعه الصمت والظلام المخيّمان عليه ، فجاء بسلمه وهبط منه إلى الحديقة ، وراح يفتش فى الآنية المزروعة عما يمكن أن يكون غراس الزّنبقة السوداء فما وجد شيئاً .وليس لرجل مثله خبير بالأزهار أن يخطئه النظر ولا اللمس ، ولكنه رأى فيما رآه ، إناءً قد انتزعت الغرسة منه فقال لا بدّ أنها بصلة الزّنبقة السوداء ، ولا بدّ أن تكون البزور التى طرحتها قد خبأها جاره فى مكتبه ، فليصعد إذن إلى المكتب ، وليَحْذُ حذْو اللصوص فى التفتيش والسرقة .

وصعد إسحق إلى مكتب جاره حذراً متلصّصاً مترفقاً ، وقضى فيه وقتاً طويلاً يبحث عن ضالّته ، فأفرغ الخزائن ، وقلب الأدراج ، واستأصل الغراس المزروعة فى الأوانى ، ورمى بجميع البزور التى وقع نظره عليها ، فلم يعثر على شىء مما كان يحلم به ، فاضطرّ فى آخر الأمر إلى النكوص على أعقابه يحزّ فى صدره الندم والأسف والألم . فلا الوشاية ولا اللصوصية

أظفرته بما كان يرجو ويأمل . ولما عاد إلى منزله خطر له خاطر ابتسم له . وبعث فى نفسه الأمل ، وأيقظ فيه شعور الفوز ، فقد ثبت فى ذهنه أن الدكتور « كرنيليوس » ما كان ليترك مثل تلك البذور فى منزله عرضةً للنهب أو الضياع ، وهو الحريص عليها حرصه على أكثر من الحياة ، فهى لا شك قابعةٌ فى أحد جيوبه ، ولسوف يحرص الدكتور « كرنيليوس » عليها ما دام على قيد الحياة . ولكن عندما ينفذ فيه الجلاد حكم الموت . فمن اليسير على إسحق أن تمتدّ يده إلى جيوب القتيل، ويظفر بتلك الدرر الغالية ! !

وكأنما ارتاح إلى هذا التعليل وهذه الأمنية ، فانفرجت شفتاه عن ابتسامة شيطانية ، وقرّر الرحيل إلى « لاهاى » .

وفى أثناء تفكيره هذا كان جاره البرىء المسكين نزيل سجن «لاهاى» . وتشاء المقادير أن ينزلوه فى محبس « كرناى دى ويت ». ولقد عادت السكينة إلى ذلك السجن بعد العاصفة الهائلة التى اجتاحته فى ذلك اليوم، ولولا أن الثوار عثروا على الأخوين « دى ويت » ومثّلوا بهما أشنع تمثيل ، لما استتبّ للسجن ولا للعاصمة أمن ولا هدوء ، ولما خرج بواب السجن وابنته « روزا » من مخبئهما السرى وعادا إلى مزاولة عملهما .

وقضى « كرنيليوس » ليلته فى محبسه مفكراً مهموماً ، ولم يجد ما يتعزّى به إلا نظرات الفتاة « روزا » عندما استقبلته مع أبيها ، ومشيا به إلى

محبسه ، فقد أدرك كل ما انطوت عليه تلك النظرات من معانى العطف والشفقة والحنان ، فى حين كان أبوها فى منتهى الغلظة والقَسْوة والتهكم .

ولما طلع الصباح نهض « كرنيليوس » يتمشّى فى محبسه ، واقترب من النافذة المسيَّجة بقضبان الحديد ، ورمى ببصره حول السجن فرأى فى نهاية الميدان المحيط به مِشْنقَةَ منصوبة ، فتذكر أن بواب السجن أخبره فى الليلة البارحة بموت الأخوين « دى ويت » بيد الجمهور ، فظن أنهما ماتا على المشنقة ، فعاد إلى وسط المحبس ، ورفع يديه ونفسه إلى الله مبتهلاً مصلياً يطلب لهما الرحمة والسكنى فى جوار الله . . . ولما اطمأن إلى أنه فى مَعْزل عن عيون الرقباء ، أخرج من سترته الورقة الملتفة على البزور الثلاث ، وخبّأها وراء جرّة الماء الموضوعة فى الزاوية المظلمة من المحبس ، وكان اليأس يمزق صدره ، فجهده فى هذا الكشف العظيم سيؤول إلى العدم عندما يؤول هو إلى الموت على تلك المشنقة التى رآها منصوبة فى ميدان السجن.

وفى مساء ذلك اليوم جاءه بواب السجن بالكفاف من الطعام المقدّر للسجناء ، ففتح باب المحبس بمفتاحه الغليظ ودخل ، ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة بعد العَتبَة حتى تعثر وسقط إلى الأرض ، وكأنما أراد أن يتفادى السقوط ، فمد ذراعه فوقع بجسمه الغليظ فوقها ، وتحرّك « كرنيليوس » ليخف إلى مساعدة السجان فصرخ به هذا وقال :

— « قف مكانك ولا تتحرك فليس الأمر بذى بال ! »



فأذعن « كرنيليوس» للأمر ، وبقى واقفاً فى مكانه لا يتحرك ولا يتريم، وحاول السجان أن ينهض بعد ذلك فنهض ،غيرأنه لم يكد يحرّك ذراعه حتى أحسّ بالألم الشديد فقد كانت ذراعه مكسورة. ثم اشتدّ عليه الألم والوجع فسقط مغشياً عليه بعد أن صرخ صرخة اهتزت لها أركان السجن .

ونظر « كرنيليوس » إلى جسم السجان الممدّد على الأرض ، وإلى باب محبسه المفتوح، فما دار الفرار فى خاطره ، ولكنه أقبل على السجان يُسْعفه ويُحيطه بالعناية .

وفيما هو منحنٍ فوق جسم السجان يصلح من شأنه ، ويقيم له ذراعه الملتوية ، كانت « روزا » ابنة السجان قد أقبلت على صراخ أبيها ، فرأت السجين منحنياًفوقَ جسم أبيها فما شكت إلا أن الرجلين قد تعاركا فطوّح السجين بالسجان .

ورفع « كرنيليوس » بصره ليرى منْ ذلك القادم إليه ، فبدت له الفتاة تترجم عيناها عما يدور بخَلَدها ، غير أنها لما أدركت الحقيقة خجلت من نفسها ،واقتربت من « كرنيليوس » تقول له بعينين مغرورقتين .

— « عذراً يا سيدى وشكراً » .

فوقعت هذه الكلمات فى فؤاد « كرنيليوس » أجمل وقع ، وهم بشكرها على عاطفتها النبيلة لولا أن أباها قد فتح عينيه فى تلك اللحظة ، وعاد إليه رشده وغلْظته أيضاً فقال :

— « ما شاء الله ! يسرع الواحد منا فى موافاة السجين بعشائه ، ويتعثر فى تسرّعه فيسقط وتكسر ذراعه ، ثم يترك مرمياً على البلاط ! » فقالت الفتاة :

— « إنك تظلم السجين يا أبى . فقد أقبلتُ ورأيته معنياً بك كل العناية ! » فقال السجان شاكاً مرتاباً :

— « أفعل هو هذا ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « نعم يا سيدى ، وإنى مستعد لمتابعة العناية » . فقال السجان :

— « وهل أنت طبيب ؟ » فقال « كرنيليوس » .

— « إن الطب هو أول صناعة زاولتها » . فقال السجان :

— «أفتستطيع إذن أن تعيد ذراعى إلى مكانها ؟ » فقال« كرنيليوس »:

— « هو ذاك » . فقال السجان :

— « وماذا يلزمك من أجل ذلك ؟ » فقال : « كرنيليوس » :

— « لوحان صغيران من الخشب وبعض اللفائف » . فقال السجان مخاطباً ابنته :

— « أسامعة أنت يا " روزا " ؟ إن السجين سيعيد ذراعى إلى مكانها فتعالى ساعدينى على النهوض ! »

فتقدّمت الفتاة من أبيها وساعدته على النهوض ، وقدّم إليه « كرنيليوس » مقعداً استوى فيه ، ثم جرت الفتاة وعادت بعد قليل تحمل

اللفائف ولوحين من الخشب . وكان « كرنيليوس » فى هذه الأثناء قد خلع عن السجان سترته ، وشمر هو عن ساعديه فدفع مقعد السجان إلى المائدة القائمة فى وسط المحبس ، ووضع ذراع المريض عليها ، ثم لواها وأعاد العظم إلى مكانه ، وربطها بلوحى الخشب ، ولفّ عليها اللفائف . وما كاد ينتهى من عمله حتى أغمى على السجان ثانية من شدة الألم ، فطلب « كرنيليوس » من الفتاة أن تأتيه بقليل من الخل ليَرُشّ على صُدْغى المريض وجبينه ليستفيق .

ولكن الفتاة بقيت فى مكانها ، ولما تيقّنت من غيبوبة والدها قالت للدكتور « كرنيليوس » :

— « خدمة بخدمة وجميل بجميل يا سيدى الدكتور ! » ، فقال « كرنيليوس » :

— « ماذا تقصدين يا فتاتى الجميلة ؟ » فقالت :

— « أن تهرُب فى الحال قبل أن يفيق أبى من إغماءته » فقال « كرنيليوس » :

— « أتمكّنيننى من الهرب ؟ » فقالت الفتاة ·

— « يعزّ علىّ يا سيدى أنى لم أستطع إنقاذ الأخوين "دى ويت" وتمكينهما من الهرب ، فاقبل أنت اقتراحى وانْجُ بنفسك وعجّل فى الفرار ، فقد بدأ أبى يتنفس . . . لا تتردّد وإلا ضاعت منك الفرصة » .

ولم يكن « كرنيليوس » فى الواقع متردداً بل كان ينظر إلى الفتاة ولا يكاد يسمع ما تقول فلما ألحّت عليه قال :

— « ولكن ستُتَّهمين بمساعدتى على الفِرار ! » فقالت الفتاة وقد صبغتها حمرة الخجل :

— « لن يهمنى ذلك ؟ » فقال : « كرنيليوس » :

— « أشكرك كلّ الشكر يا آنسة ولكننى أوثر البقاء ! » فقالت الفتاة :

— « تؤثر البقاء ؟ ! آه يا إلهى ! ألم تفهم يا سيدى أنهم بسيحكمون عليك بالموت ، وأنك ربما قُتلت شرّ قتلة ومزّقت شرّ ممزّق كما حدث للسيدين "جان" و "كرناى" ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « ماذا تقولين ؟ ألم يشنقا تنفيذاً لحكم المحكمة ؟ » فقالت الفتاة :

— « كلا يا سيّدى ، لقد مزقهما جمهور الثوار ، وحطموا رأسيهما ، وبقروا بطنيهما ، وتركوهما أشلاء متناثرة ! فلا تهتمّ بى يا سيدى واهرب فهذا المحبس شؤم عليك » .

فاربدّ وجه « كرنيليوس » وشحّت عينيه غمامة من الحزن والكآبة ، وكان السجان قد أفاق من إغمائه فصاح يقول :

— « من يتكلم عن الأخوين "ويت" الغادرين الخائنين ؟ ! » فقال له « كرنيليوس » :

— « لا تستسلم إلى الهياج والغضب يا سيدى ، فغليان الدم شرّ ما

انتكست به جراح العظام » . ثم همس فى أذن الفتاة :

— « اعلمى يا آنسة أنى برىء ، ولن يخيفنى المثول بين أيدى القضاة ! » فقالت الفتاة :

— « صه . . . صه . . . فيجب أن لا يعرف أبى أنه جرى بيننا أى حديث كان » . فقال « كرنيليوس » :

— « وأىّ ضرر فى أن أحدثك وتحدّثينى ؟ » فقالت الفتاة :

— « لو عرف ذلك لمنعنى من المجىء إليك مرة أخرى » .

وصحا السجّان ، وتحامل على نفسه فنهض واقفاً ، وخرج مصطحباً ابنته بعد أن أقفل باب المحبس على « كرنيليوس » .





٨

استُجْوب « كرنيليوس » فى صباح اليوم التالى فلم ينكر أن الأوراق كانت وديعة لديه ، ولا نفى أن « كرناى دى ويت » هو الذى استودعه إياها ، ولكنه أنكر كل الإنكار أنه يعرف مضمونها ، أو أنه اشترك فى حوادثها . فلم يقتنع القضاة بما قدّم لهم واعترف ، وعدُّوه شريكاً فى الخيانة ، بل ذهبوا إلى الاعتقاد بأن ستار العلم والبحث والاهتمام بتربية الأزهار يخفى وراءه رجلاً من أدهى الدُّهاة وأخطر الساسة ، ومضى أحدهم فقال : إن تربية الأزهار تتفق كل الاتفاق مع الاشتغال بالسياسة ، وإن التاريخ يحفظ لنا أسماء كثير من دهاة السياسة عُرفوا بفلاحة الأرض وزراعة

البساتين ، وبما أن السيد « كرنيليوس » يشتغل بالسياسة وبتربية الأزهار معاً ، فمن المحقق أنه من أولئك الدّهاة المعروفين فى التاريخ ، فمن واجب الولاء للأمير « جيّوم دورانج » بتْر هذا العضو من المجتمع الهولندى. . .

وبمثل تلك السَّفْسَطة حكمت المحكمة على الدكتور « كرنيليوس » بالشنق ، ولما كانت المداولة قد طالت بين أعضاء المحكمة فقد أعيد المتهم إلى السجن ، ثم بعثوا إليه كاتب المحكمة يتلو عليه صيغة الحكم ، فذهب إلى السجن وقادته « روزا » إلى غرفة السجين يصحبها مساعد لوالدها لأن والدها كان طريح الفراش . فاستمع « كرنيليوس » للحكم بهدوء ورباطة جأش ودَهَش عظيم .

وعند ما فرَغ الكاتب من تلاوة الحكم ، حيّا وهم بالانصراف فوقفه « كرنيليوس » وسأله :

— « ومتى موعد التنفيذ يا سيدى ؟ » فقال الكاتب .

— « ظهر اليوم يا سيدى ! »

وسمع فى تلك اللحظة شهيقٌ وزفير ينبعث من وراء الباب ، فخفّ « كرنيليوس » إلى كوّة الباب ليرى ذلك الرائى لحاله والباكى على مصيره ، فلمحته « روزا » وكانت هى المنتحبة فتوارت واستندت إلى بعض الجدران.

وخرج الكاتب بعد أن قام بمهمَّته ، وتبعه مساعد السجان فأغلق باب المحبس ، وأمسك بالمفتاح ليديره فى القفل ، فرأى يداً عاجية بيضاء تمتدّ



إلى المفتاح ، وصوتًا يهمس فى أذنه ببعض الكلمات ، فسلَّم المفتاح إلى « روزا » صاحبة تلك اليد وتابع مسيره إلى السلم فنزل عدّة درجات وجلس فى منتصفه .

ودخلت « روزا » على السجين ويداها مشتبكتان إلى صدرها ، وعيناها الزّرقاوان مبللتان بالدموع فقالت :

— « آه يا سيدى ! »

وخنقتها العبرات قليلاً فقال لها « كرنيليوس » :

— « لا تبكى يا آنسة فدموعك تعصف بفؤادى أكثر من الموت الزؤام الذى ينتظرنى ! . . . »

فشكرته « روزا » وسألته :

— « هل من خدمة أستطيع أن أؤدّيها لك يا سيدى ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « إن من كان على قاب قوسين أو أدنى من الموت لا يحتاج إلى شىء يؤدّى له . سأقابل وجه ربّى عما قريب بصفحة ناصعة وقلب طاهر. أما وقد سألتنى أمراً تقومين به من أجلى فإنى سأطلب منك قضاء أمر من الأمور ، فهاتى يدك الجميلة وعدينى أن لا تضحكى » . فقالت «روزا» :

— « أأضحك فى هذه اللحظة العصيبة . . . كأنك لا تنظر إلىّ يا سيدى ! » فقال « كرنيليوس » :

— « لقد نظرت إليك بأعين الجسم والقلب فما وقع نظرى على أجمل منك خُلُقاً وخَلْقاً ، فإذا حوّلت عنك الآن نظرى فلأنى سأخرج من هذه الحياة عما قليل ، ولا أريد أن آسف على شيء فيها » .

ودقّت ساعة السجن عندئذ إحدى عشرة دقة فاضطربت « روزا » ففهم « كرنيليوس » اضطرابها وقال :

— « لنسرع فالوقت ضيق . . . »

فأخرج « كرنيليوس » من سترته الورقة الملفوفة فيها البزور الثلاث وكان قد أعادها إلى سترته لـمّا أمن على نفسه غائلة التفتيش ، فقال يخاطب « روزا » :

— « يا صديقتى العزيزة ! لقد أحببت الأزهار طول حياتى ، ولم أكن أدرى أن فى حياتى شيئاً غير الأزهار يمكن أن يحبه الإنسان . . . لا . لا . لا تخجلى ولا تميلى بوجهك . . . فشعورى هو الذى يتكلم . . . ولكن على غير طائل فالمشنقة فى انتظارى . . . قلتُ يا " روزا " إنى أحببت الأزهار ، وأحسب أنى وُفقت إلى العثور على سرّ الزنبقة السوداء ، ولعلك تدرين أو لا تدرين أن هنالك جائزة قدرها مئة ألف " فلوران " خصصتها الجمعية الزراعية فى مدينة " هارلم " بمن يُفلح فى ذلك الكشف الذى يعدّونه مستحيلاً . . . لقد عثرت على السرّ فهو هنا فى البزور الثلاث التى تحتويها هذه الورقة ، فاقبليها منى على سبيل الهدية وتمتعى

بالجائزة » .

فقالت « روزا » :

— « رحماك يا سيدى ! » فقال « كرنيليوس » :

— « إنى وحيد فى الحياة ، فأخذك هذا المبلغ لا يضير أحداً . . . وإنى واثق بأنك ستظفرين بالجائزة وثوقى بالكشف الذى وفقت إليه . . . فليكن هذا المبلغ البائنة التى تقدمينها إلى عروسك ، ولا أشترط عليك إلا أمراً واحداً وهو أن تتزوجى شاباً كريم الخلق تحبينه ويحبك بالقدر الذى أحببتُ به الأزهار . . . »

فكادت الفتاة تختنق وتشرق بالدمع ، فأمسك « كرنيليوس » بيدها وقال :

— « لا تبك فلم يبقَ لى إلا لحظات قصار ، فأرهفى إلىّ بسمعك : لست أريد منك مقابل هذا غير أمر واحد وهو أن تسمّى الزنبقة السوداء "روزا كرنيليوس" أى أن تطلقى عليها لفظاً منحوتاً من اسمك واسمى ، ولما كنت تجهلين اللاتينية فقد تنسين هذا اللفظ فهاتى لى قلماً وورقاً لأكتبه لك . . . »

فأجهشت الفتاة بالبكاء ، وقدّمت له كتاباً مجلداً تجليداً فاخراً ومُذَيَّلاً بالحرفين الآتيين ك . و . فسألها « كرنيليوس » :

— « ما هذا ؟ » فقالت : « روزا » :

— « إنه الكتاب المقدس الذى كان مع الشهيد "كرناى دى ويت"

لقد أعانه على تحمُّل تعذيبه فجئت به إليك ليعينك على احتمال مصيرك الظالم، ولكنني رأيتك جليداً صبوراً معتمداً على القوة التى أودعها الله قلبك الكبير . . . فاكتب عليه ما تشاء ، وثق أنه سينفذ بالحرف الواحد وإن كنت أجهل القراءة والكتابة » .

فأخذ « كرنيليوس » الكتاب المقدس فقبله خاشعاً وقال :

— « والقلم يا " روزا " » فقالت :

— « فى تضاعيف الكتاب قلم وجدته فيه فتركته حيث هو » .

وكان القلم الذى أعطاه « جان دى ويت » أخاه فلم يستردّه ، فتناوله « كرنيليوس » وعلى الصفحة الثانية من ذلك الكتاب لأن الصفحة الأولى كما يذكر القراء كان « كرناى » قد انتزعها وكتب عليها الرسالة ، التى سلمها « جان » إلى الخادم « كراك » ، خطّ « كرنيليوس » ما يلى :

« فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢ قُبَيْل أن تصعَد روحى إلى بارئها تنفيذاً لحكم الموت الذى صدر علىّ وأنا برىء ، أهَبُ الآنسة " روزا جريفوس " الشيء الوحيد الذى بقى لى فى هذا العالم بعد مصادرة أملاكى وأموالى جميعها ، أهَبُها ثلاث بزور أعتقد اعتقاداً جازماً أنها إذا زُرعت الآن نبتت عنها فى شهر مايو المقبل الزّنبقة السوداء التى خصّصت لها الجمعية الزراعية فى مدينة "هارلم" جائزة قدرها مئة ألف " فلورا " . وإنى أرغب أن تقبض الآنسة "روزا" ذلك المبلغ بدلاً منى ،

فقد أقمتها وارثتي الوحيدة على أن تتزوج شاباً يكون من عمري تحبه ويحبها وعلى أن تطلق على الزنبقة السوداء اسم " روزا كرنيليوس " أي اسمها واسمي مجتمعين .

عفا الله عني وكتب لها السلامة .

كرنيليوس فان باول »

وقرأ «كرنيليوس» للفتاة ما كتب فازدادت بكاء وانتحاباً . فقال لها في بسمة حزينة بعد أن قبّل أطراف أصابعها المرتجفة :

— « أتقبلين شروطي ؟ » فقالت الفتاة وهي تتلعثم :

— « لا أستطيع يا سيدي ! » فقال :

— « ولماذ لا تستطيعين ؟ » فقالت :

— « لأن هناك شرطاً لا أقوى على تنفيذه » . فقال :

— « وما هو ؟ » فقالت :

— « إنك تهبني المبلغ على أن يكون بائنة لزواجي » . فقال :

— « أجل » . فقالت :

— « وعلى أن أتزوج رجلا أحبه » . فقال :

— « هو ذاك » . فقالت :

— « إذن فالمبلغ لا يمكن أن يكون لي . فلن أحب أحداً ولن أتزوج » .

وكادت الفتاة بعد هذه الثورة العاطفية تقع مغشياً عليها ، وكاد

«كرنيايوس» يُهْرَع إليها ليمنعها من السقوط لولا أنه سمع وقع أقدم على درجات السلم فتمالكت الفتاة نفسها وقالت :

— « آه يا إلهى ! . . . لقد جاءوا يصحبونك . . . آه يا إلهى ! . . . أليس لديك ما تقوله لى أيضاً يا سيدى ؟ ! »

ولم تستطع الثبات أكثر من ذلك فسقطت على ركبتيها ، واعتمدت، رأسها بذراعيها واستسلمت إلى الزّفرات والنحيب فقال لها «كرنيليوس» :

— « أكرر عليك الرجاء أن تخفى البزور الثلاث ثم تزرعيها . . . الوداع يا " روزا " » .

فأخفت الفتاة لفة البزور فى صدرها الخفّاق المتنهّد وهى تقول :

— « سأنفّذ كل ما طلبت إلا أن أتزوّج . . . »

وأقبل الجندُ والحرس فتبعهم « كرنيايوس » موفور الشجاعة ساكن الجأش بعد أن تزوّد من « روزا » بالنظرة الأخيرة فساروا به إلى المشنقة .





٩

مشى « كرنيليوس » إلى المشنقة عالى الرأس ثابت الجنَان ، فاستقبلته الجماهير المحتشدة حول السجن بالصُّراخ والصَّفير فلم يأبه لها كأن الميدان خالٍ من الناس ، وكأنه الوحيد الذى يمشى فيه .

وصل إلى المشنقة فصعد درجاتها فى زَهْوٍ وخُيَلاء دلاَّ على أنه من سُلالة ذَيْنك الرجلين العظيمين اللذين مزّقهما منذ ثلاثة أيام نفس هذا الجمهور الذى جاء اليوم يشهد مصْرَع الشهيد الثالث .

وبلغ « كرنيليوس » أعلى المنصة ، فركع يصلى صلاته الأخيرة حتى إذا فَرَغ منها نهض وأسلم عنقه إلى الجلاد ، وما وسعه إلا أن يُغْمض

عينيه فى اللحظة التى لُفّ فيها الحبل حول عنقه ، وانتظر أن ترفع المنصة من تحته فيهوى جثة هامدة .

وطال انتظاره فتملّكه الدّهش ، ففتح عينيه فرأى ضابطًا يصعد إلى المنصّة ، وفى يده ورقة مذيّلة بخاتم طُبع على قطعة من الشمع الأحمر ، ثم أخذ يتلوها فى جو من الدهشة الشاملة سرت فى المحكوم عليه وفى الجمهور سواء بسواء . وكان مضمون تلك الورقة أن سمو الأمير « جيّوم دورانج » بسامى حكمته وعدله ، قد نظر فى قضية « كرنيليوس فان باول » فوجد فى ثناياها ما يشفع للمتّهم بالحياة ، فاستبدل بعقوبة الشنق عقوبة السجن المؤبّد .

ولقد كان « كرنيليوس » فى مثل تلك الحال يُؤْثِرُ الموت على السّجن المؤبّد ، ولكنه استقبل استبدال الحكم بالمسرة والغبطة ، فهناك « روزا » ، وهناك زنابقه السّود ، غير أن فرحته لم تتمّ فى أمر العفو حاشية تنصّ على نقله إلى قلعة « لاوستن » . وفيما هو مستسلم إلى التفكير فى حبيبيه الأعزّين اقتربت مركبة من المنصّة ، فاقتيد إليها وأجلس فيها دون أن يستطيع أن يُلْقِى نظرة إلى السجن الذى يضمّ حبيبيه العزيزين « روزا » والبزور الثلاث ، وسارت به فى طريقها إلى القلعة التى سيقضى العمر بين جدرانها .

وشيّع المركبة جمهور المتفرجين بالهتاف والدعاء للأمير الحاكم ، وإن يكونوا فى قرارة أنفسهم قد حزنوا على أن فوّت عليهم حِلْم الأمير متعة كانوا ينشدونها .

وكان أكثرَ الناس استياء وحَنَقاً فى ذلك الجمهور رجلٌ حضر إلى الميدان منذ الصباح ، وظل يتنقَّل بين الصفوف حتى وصل إلى مقربة من المشنقة لا يفصله عنها إلا صفّ الحرس.

وعندما طوّق الجلاد عنق « كرنيليوس » بالحبل ، اشرأبّ الرجل بعنقه ، وشخص إلى الجلاد وغمزه بعينه غمزة معناها : « نحن على اتفاقنا » فردّ عليه الجلاد بنظرة أخرى معناها : « كن مطمئناً » .

ولم يكن ذلك الرجل إلا إسحق جار « كرنيليوس » ومنافسه بل عدوّه اللدود ، فإنه لما قدّر أن بزور الزنبقة السوداء هى لا شك فى جيب جاره ، هُرع إلى « لاهاى » على أمل أن يظفر بها بوسيلة من الوسائل ، فبدأ أولاً يتقرّب إلى بوّاب السجن ، راجياً أن تتوطّد بينهما الصداقة فيغريه بتفتيش السجين أو سرقة تلك البزور منه . فخيَّب مرض السَّجّان فأله فقد انقطع الرجل إلى فراشه يصارع الحمى التى لازمته بعد كسر ذراعه .

وعاد الأمل يداعب قلب إسحق عندما صدر الحكم على « كرنيليوس » بالشنق ، فغيَّر خُطَّته وأصبح يتودّد إلى الجلاد فلم يصعب على إسحق أن يتفق معه على تسليمه ثياب « كرنيليوس » بعد شنقه ، ولقد تم الاتفاق بينهما على مبلغ من المال غير ضئيل يدفعه إسحق سلفاً فدفعه راضياً مسروراً.

وتوكيداً لذلك الاتفاق تبادل الرجلان نظرات معنوية قبل أن يهمّ الجلاد بتنفيذ حكم الشنق على طبيبنا وعالمنا المسكين .

لم يخطئ إسحق فى تقديره فالبزور كانت مع « كرنيليوس »، ثم إن تنفيذ حكم الشنق فى المتهم البرىء ، واستعداد الجلاد لتسليم ثيابه إلى إسحق كل ذلك كفيل بأن يؤيد تقدير ذلك الجار الغادر ، وبأن يحقق له مطامعه . غير أن القدر كان واقفاً لإسحق بالمرصاد ، فقلب كل تقديره وتدبيره رأساً على عقب ، وأقام فى طريقه عاملين بددا أحلامه ، أولهما : « روزا » أى الحب ، فلولاها لبقيت البزور فى جيب « كرنيليوس » ، وثانيهما : « جيوم دورانج » أى الحِلْم ، فلولاه لنفذ حكم الشنق واستولى إسحق على الثياب وظفر بالبزور .

وليس من السهل وصف المشاعر التى اختلجت فى قلب إسحق فى تلك الساعة ، فقد خفقت حناياه أولاً بشعور الفوز والنصر عقب ما طوّق الحبل عنق « كرنيليوس » ، وودّ لو يعجل الجلاد فى إتمام مهمته فكل ثانية كانت لديه بمثابة دهر ، واضطربت أضلاعه ثانية بعاطفة الدهش والاستغراب لما رأى الجلاد واقفاً لا يتحرّك ولا يشدّ الحبل على عنق غريمه ، وازداد دهشاً وتعجباً لما رأى ضابطاً من الضباط يصعد إلى المنصّة وفى يده ورقة طويلة أخذ يتلوها . ثم أصابته لوثة من الجنون عند ما علم أن الشنق قد استبدل به السجن المؤبّد ، فغريمه إذن لن يموت بل سيذهب إلى تلك القلعة التى عينوها له . وقد يكون فى تلك القلعة حديقة فيزرع « كرنيليوس » فيها بزوره ، وتتفتح عن الزنبقة السوداء ، فيظفر بالجائزة ، فتذهب كل

مساعيه بَلْهَ المال الذى دفعه للجلاد، وبَلْهَ غدره وخيانته أدراج الرياح...

طار صواب إسحق عند ما انتهى به التفكير إلى هذه الخاتمة ، فانقلب وحشًا ضاريًا بل مجموعة من الوحوش الضارية، وأخذ يصيح صيحات منكرة ، ويدفع الناس بمنكبيه ليلحق بتلك المركبة الذاهبة بالسجين بل الذاهبة بآماله وأحلامه وخُيِّلَ إلى بعض « الأورانجيين » الذين كانوا حوله ، أن صيحاته إنما هى صيحات الفرح والسرور ، وكانوا غير راضين عن حلم أميرهم ، فلم يفسحوا لإسحق فى الطريق ، فتعثَّر ووقع ، وأشبعه القوم رفسًا وركلاً .

أما المركبة فسارت بالسجين تسابق الريح حتّى وصلت به إلى القلعة ، فاستقبله السجان وقاده إلى الغرفة المخصّصة به ، فطاف حولها ببصره ، واقترب من النافذة المسيَّجة هى أيضًا بقضبان الحديد كالمحبس الذى كان فيه ، وأخذ يسرّح النظر بما هنالك من حدائق وغياض ممتدّة حتّى مدينة « دوردرخت » مسقط رأسه القريب من تلك القلعة ، ثم ارتمى إلى السرير يفكر فى أعاجيب الحياة ومفاجآتها ، ويأسف على شيئين فقدهما فى تلك الحياة : زنبقة وفتاة .

ونهض ذات صباح ووقف إلى النافذة يستنشق النسيم العليل، ويكحل الطرف بالبساتين والغابات الممتدة على مرمى البصر، ويمتع النفس برؤية تلك الطواحين البادية لعينيه عن بعد فى تلال مدينة « دوردرخت» فلاحت

له أسراب من الحمام آتية من ذلك الأفق، وما عتَّمت أن مرت به، وحط بعضها على أبراج القلعة وسطوحها ، فقال « كرنيليوس » في نفسه : هذه جماعات من الحمام وافدة إلى هذا المكان من مسقط رأسي ، ولا شك أنها عائدة إليه ، فلو تمكَّنتُ من القبض على واحدة منها لحملتها رسالة إلى مربيتي .

واستقرت هذه الفكرة فى ذهنه ، واستمرّ الحمام يروح ويغدو كل يوم بين « دوردرخت » والقلعة ، و« كرنيليوس » ينظر إليه حائمًا متحسّراً . وطالت هذه الحسرة عدّة أشهر كان الحمام فيها يمر به ولا يعرّج مع ما كان ينثره عليه من فتات الخبز وفضلات طعامه .

وكان إلى رغبته فى الحصول على فرخ من ذلك الحمام لا يفتأ يفكّر فى بزوره الثلاث ، وفى الزنابق السود التى ستتفتح عنها . ولعله لو عرف قصة ذلك الحمام لازداد شوقًا إلى الظفر بواحدة منه .

كان ذلك الحمام ملكًا لجاره إسحق يربيّه وينسله ويرتزق منه . فلما هجر مدينة « درودرخت» لحاقًا بالدكتور «كرنيليوس » إلى « لاهاى» ثم إلى قرية قريبة من القلعة المسجون فيها غريمه، ترك ذلك الحمام لشأنه فلم يكن فى المنزل من يُعْنَى به ويسهر عليه ، فماتت منه جماعة ، وهجرت البقية سطح منزل إسحق وحطت فوق سطح منزل الدكتور « كرنيليوس » . فاحتفت بها مربية الدكتور وأخذت تعنى بها وتطعمها

فاستقرّت لديها هانئة مطمئنة . وكانت إذا قامت بجولاتها فى الفضاء الفسيح عادت إلى أوكارها فى سطح مضيفتهامربّية الدكتور «كرنيليوس » .

وفى مستهل شهر يناير من سنة ١٦٧٣ أصاب القدر بواحدة من ذلك الحمام إلى الاقتراب من نافذة السجين . والتقاط الفُتات الذى كان فيها ، فخف « كرنيليوس » إليها وأمسك بها فى رفْق وحنان ، وعلق فى عنقها رسالة إلى مربيته . وطَواها على رسالة أخرى إلى « روزا» وكتب على ظهر الرسالة الأولى رجاء حارًّا إلى كل من تقع فى يده أن يوصلها إلى صاحبتها

واستمرّ الحمام يمرّ به فلمح يومًا فى عنق إحداها الخيط الذى ربطه فيه فوثق بوصول الرسالة إلى المربّية .

وفى الأيام الأولى من شهر فبراير سمع « كرنيليوس » فى سلم أحد أبراج القلعة صوتًا خفقت له كلّ جوانحه . فوضع كفه على قلبه ، وأرهف سمعه فإذا الصوت صوت « روزا » العذب الجميل .

كان « كرنيليوس » يتوقع أن يسمع خبراً عن « روزا » وعن بزوره الثلاث منذ الساعة التى لمح الخيط فى عنق الحمامة خاليًا من رسالته . ولكن المفاجأة كانت أشدّ مما يتحمّل فسَرَت فى جسمه رعدة حلوة لذيذة ، واشتدّت تلك الرعدة لما رأى وجه « روزا » وقد وشّحه الحزن بصفرة جميلة يلوح له من وراء قضبان الكوّة فى باب محبسه وسمعها تقول :

— « سيدى . . . سيدى . . . ها أنا ذى ! »

فرفع « كرنيليوس » يديه إلى السماء شاكراً ، وصاح صيحة كلها فرح وغبطة وقال :

— « " روزا " . . . " روزا " » ، فقالت الفتاة :

— « اخفض صوتك فوالدى يتبعنى » . فقال « كرنيليوس » متعجباً :

— « والدك ؟ » فقالت الفتاة :

— « أجل ! إنه فى ساحة القلعة يتلقى التعليمات من محافظ القلعة » .

فازداد « كرنيليوس » دهشاً فقالت الفتاة :

— « سأطلعك بلمحة خاطفة على ما حدث : فعند ما تلقيت رسالتك التى قرأتها لى مربيتك ، سعيت إلى عمة لى كانت مربية الأمير "جيوم" وهى الآن قوامة على منزل له فى الريف ، وانتظرت حتى قدم الأمير علينا يوماً فطلبت إليه أن ينقل أبى سجاناً لهذه القلعة فقبل . ولم يخامره شك فى الهدف الذى أرمى إليه » . فقال « كرنيليوس » وقد كاد يطير من الفرح :

— « سأراك إذن كل يوم ؟ » فقالت :

— « ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً » . فقال « كرنيليوس » :

— « يا لرحمة السماء ! . . . » فقالت :

— « صه . . . هذا والدى قد حضر . . . سأزورك فى الساعة التاسعة من هذا المساء . . . »

وحيته بابتسامة حلوة وبإشارة من يدها الجميلة وتوارت عن العيان .



١٠

حضر السجان إلى محبس «كرنيليوس» يسبقه إليه صدى خطواته الثقيلة، وقعقعة حلقة المفاتيح فى يده ، ففتح الباب على السجين وبادره بالكلام الفظّ الغليظ يحثه على الطاعة والخضوع ، ثم سأله عن اسمه فقال له « كرنيليوس » :

— « ألم تعرفنى يا سيد "جريفوس" أنا سجينك فى سجن "لاهاى" » .

فقال السجان :

— « أهذا أنت ؟ لقد أخطأ الأمير ! » فقال « كرنيليوس » :

— « شكراً لك يا سيدى على عاطفتك النبيلة ، أفكنت تؤثر أن

ترانى الآن فى عداد الأموات ؟ ! ألا تذكر أنى جبرت كسر ذراعك ؟ ! »

فقال السجان وقد ثقل عليه تذكر الجميل :

— « كفانا ثرثرة ! فلا بدّ لى أن أطوف بباقى السجناء لأعرفهم ويعرفونى . . . النظام . . . الطاعة . . . أفهمت ؟ »

وخرج مسرعًا بعد أن أغلق الباب واستوثق من إقفاله .

وبقى « كرنيليوس » على أحر من الجمر ينتظر موعد اللقاء ، فلم تكد ساعة القلعة تدقُّ الدقة التاسعة حتى رأى « كرنيليوس » شبكة الكوة فى الباب يتسرّب منها الضوء بعد أن رفع عنها غطاؤها وبدا منها وجه « روزا » وهى تقول لاهثة :

— « مساء الخير يا سيدى ! » فقال « كرنيليوس » :

— « عزيزتى " روزا " يا عزيزتى " روزا " » فقالت :

— « أمسرور أنت من لقائى ؟ » فقال :

— « أهذا سؤال يُسأل ؟ ولكن أخبرينى كيف جئتنى ؟ » فقالت .

— « ينام أبى توًّا بعد العشاء ثملاً من الخمر التى يشربها . . . لا تقل هذا لأحد . . . فبذلك أستطيع أن أزورك كل مساء ونقضى معًا ساعة من الزمن نتبادل فيها الأحاديث » . فقال :

— « شكراً لك يا " روزا " وألف شكر ! . . . » فقالت :

— لقد جئتك بيزورك » .

فخفق فؤاد « كرنيليوس » طرباً فقد جنَّبته السؤال الذى لم يكن يجرؤ أن يفوه به فقال :

— « أراك قد احتفظت بها » . فقالت :

— « ألم تعطنيها على أنها شىء ثمين عزيز عليك ؟ » فقال :

— « أعطيتك إياها فهى ملك يمينك » . فقالت :

— « إنها ملكى بعد مماتك ، أمَّا وأنت حىّ تُرْزق فهى لك . . . حفظ الله الأمير "جيّوم" وحقق له ما يتمنى من مجد وسعادة . . . كنت أنوى أن أطلب منه أن يعين أبى سجاناً فى هذه القلعة لأراك وأردّ لك بزورك ، فلما جاءتنى رسالتك حفزتنى إلى الطلب فوفقنى الله فيه » . فقال :

— « أكنت تفكرين فى اللحاق بى إلى هنا قبل أن تتسلمى رسالتى؟ » فقالت وقد تغلب حبها على حيائها :

— « أجل كنت أتوق شوقاً إلى ذلك ، ولا أكتمك أنى سخطت على نفسى كل السخط لما تلقيت رسالتك ، واحتجت إلى من يقرؤها لى ، فقد كنت أودّ أن أمتّع نظرى وقلبى معاً بقراءتها » .

فسرّ « كرنيليوس » من هذه الكلمات التى نزلت على فؤاده برداً وسلاماً ، ثم رأى « روزا » تخرج من صدرها البذور الثلاث ملفوفة بالورقة نفسها ، وتقدمها له من بين حواجز الكوّة . فردّ يدها بلطف ورفق وقال :

— « من الخطر يا عزيزتى أن نضع كل ثروتنا فى كيس واحد . . . فالمسألة على جانب كبير من الجلال . . . إن الناس يعدُّونها فى حكم المستحيل . . . أجل يرون إنبات الزنبقة السوداء ضرباً من المحال . . . فيجب أن نتعاون معاً على تحقيق ذلك المحال » .

فنظرت إليه « روزا » مدهوشة فاستأنف حديثه وقال :

— « أليس فى هذه القلعة حديقة أو ساحة أو سطح ؟ » فقالت :

— « إن فيها حديقة جميلة » . فقال :

— « أتستطيعين أن تأتينى بحفْنة من تربتها لأفحصها ؟ » فقالت :

— « غداً آتيك بما تطلب . . . » فقال :

— « توافينى بحفنتين وتختارين الأولى من بقعة شامسة والثانية من بقعة مستظلة لأعرف ميزة التربة فى حالى الجفاف والرطوبة » . فقالت :

— « كن مطمئناً » . فقال :

— « ويستحسن أن نزرع كل بزرة على حدة ، فتقومى أنت بزرع واحدة فى التربة التى أختارها لك. وأقوم أنا بزرع الثانية فى هذا المحبس بعد أن توافينى بما أحتاج إليه من تلك التربة وتحتفظى بالثالثة على سبيل الاحتياط فيما لو أخفقنا فى زراعة البزرتين . ولست أشكّ فى أننا فائزان بالجائزة التى ستكون بائنتك » . فقالت :

— « فهمت ما قلت وسأنفّذه منذ غد بالحرف الواحد » .

وفتحت « روزا» لفة البزور وأعطته واحدة منها واحتفظت بالأخريين ثم ودّعته وانصرفت إلى غرفتها .

ومنذ تلك الليلة أصبح السجن فى عين « كرنيليوس » منزلاً يفيض بالهناءة والسعادة ، فكان يشغل نهاره بتعهد زرعته ، ويقضى جانباً من الليل مستمتعاً بالحديث إلى « روزا » .

وخطر له ذات مساء أن هذه السعادة التى يذوق حلاوتها قد يُحْرَمها فى يوم من الأيام إذا تضايق « جريفوس » أبو «روزا» من مهنته أو بَرِم بالمكان وعَنّ له أن يطلب نقله إلى سجن آخر .

وأفضى بما يشغَل باله إلى « روزا » فطمأنته إلى أنها ستسعى جاهدة فى الحيلولة دون ذلك الرحيل ، فقال لها :

— « ولكن هبيه حدث فكيف أقف على شئونك وتقفين على شئونى فلوكنت تعرفين القراءة لاتخذت الحمام رسولى إليك » . فقالت :

— ولم لا تعلمنى القراءة والكتابة ؟ » فقال :

— « أنت على صواب يا " روزا" فالمراسلة ستجعلنا متدانيين ولو فرّقت بيننا الجبال والبحار » .

فتبسمت « روزا » ابتسامة يائسة وقالت :

— « إن الأقداركفيلة بأن تنقذك من هذا السجن . وبأن تردّ إليك الحرية والمجد والمال ، أفتراك تذكر عندئذ أنك كنت عرفت فتاة اسمها

" روزا " أم تراك تشملها بنظرة إذا لقيتها فى الطريق وأنت على جوادك أو فى مركبتك ؟ فلعلك تشيح بوجهك عنها فلا ترى فيها إلا ابنة سجان أو ابنة شبه جلاد » .

وهمّ « كرنيليوس » بالاحتجاج على ذلك الحديث فصرفته « روزا » عنه بلباقة وكياسة وحدثته عن بزرته السوداء وسألته كيف حالها وماذا يتوقع لها ؟ لأنها كانت تعلم أن الحديث عن الأزهار ولا سيما عن الزنبقة السوداء ينسى « كرنيليوس » كل ما عداه على وجه الأرض فسرعان ما أجابها قائلاً :

— « إن بزرتى بخيريا "روزا" فقد بدأت تتأصّل فى صحْف الجرّة التى كسرتها وزرعتها فيه ، ويخيل إلىّ أنها لن تخيّب ظنى . . . وأنت كيف حال بزرتك ؟ » فقالت :

— « علمتنى أن أكون بستانية ماهرة فقد أعددت لها فى الحديقة مكاناً جميلاً وسوف أزرعها فيه ... ولكننى أرجو أن تعلمنى شيئاً آخر غير زراعة الأزهار » . فقال :

— « صدقت . . . يجب أن أعلمك القراءة والكتابة . . . فمتى نبدأ » ؟ وفى أىّ كتاب نبدأ » ؟ فقالت :

— « سنبدأ غداً . . . وسآتيك بكتاب عندى هو أحسن فأل لنا » .

وجاءته « روزا » فى مساء اليوم التالى بالكتاب المقدس الذى وهبها إياه « كرناى دى ويت » .



١١

بدأ « كرنيليوس » يلقّن تلميذته قواعد القراءة والكتابة ، ويعتمد على الكتاب المقدس الذى معها فى تعليمها الحروف وكيف تتألف منها الكلمة ، وتلقينها الكلمات وكيف تتألف منها الجملة ، وتدريبها على الجمل وكيف يتألف منها الكلام .

وحضرت إليه ذات مساء متأخرة نصف ساعة عن الموعد الذى تعوّدت أن تلقاه فيه فاعتذرت إليه قائلة :

— « لا تلمنى يا سيدى على تأخرى فليس الذنب ذنبى . . . إن والدى قد عقد أواصر الصداقة بينه وبين رجل لا شك أنه من زبانية

الجحيم ، فهو يحب الشراب ولا يحلو له إلا أن يشربه مع أبي كل ليلة . فتعلق أبي به وأصبح لا يطيق فراقه ، وأمعن هو في الزيارة وفي إغداق الهدايا . . . » فقال « كرنيليوس » وقد غمَّه ما سمع :

— « ألا يكون جاسوساً يتسقَّط أخبار بعض السجناء ؟ » فقالت « روزا » :

— « لا أحسبه من الجواسيس » . فقال « كرنيليوس » :

— « فعلام إذن يكرّر زوراته ؟ » فقالت « روزا » مبتسمة :

— « لعل له سبباً غير التجسس » .

فحملق « كرنيليوس » فيها مضطرباً وقال :

— « تظنينه جاء يخطُب يدك ؟ » فقالت :

— « قد يكون ذلك ، فالرجل قد بدأ يتردد علينا منذُ أن كنا في سجن " لاهاى " وفي الوقت الذى سجنت أنت فيه ، وكان يزعمُ أنه صديق لك يوَدّ أن يراك » فقال « كرنيليوس » :

— « يراني أنا ؟ » فقالت « روزا » :

— « حجة لجأ إليها فأنا التي يقصد . . . والدليل على ذلك أنه لما انقطعت أنا عن سجن "لاهاى" انقطع عنه ، ولما أتيت إلى هنا لحق بي . . ولقد سمعته أمس يقول لأبي إنه لا يعرفك . . . »

فصمت « كرنيليوس » هنيهة ثم قال :

— « حدّثيني أيضاً يا " روزا " عن هذا الرجل لعلى أعرفه أو أعرف ما يريد ؟ » فقالت :

— « إنه أتبع لى من ظلى . . . لمحته أمس عند الغروب يراقبنى وأنا فى الحديقة ، وينظر كيف أعتنى بالرياحين والأزهار ، فلم أقترب من المكان الذى أعددته لأزرع فيه بزرة الزنبقة السوداء إمعاناً فى الاحتراس . . . ولكننى أعتقد أنى أنا التى أسترعى انتباهه لا شيء آخر » . فقال « كرنيليوس » .

— « إذن أنت مطمح أبصاره . . . أفى مقتبل الشباب هو ؟ أجميل هو ؟ » فقهقهت « روزا » ضاحكة وقالت :

— « إنه أشنع وجهاً من البوم . . . قد يناهز الخمسين من العمر . . . وهو لا يجسر أن يحدّثنى وجهاً لوجه » . فقال « كرنيليوس » :

— « وما اسمه ؟ » فقالت « روزا » :

— « " يعقوب جزيل " ، فقال « كرنيليوس » :

— « لا أعرف أحداً بهذا الاسم . . . »

وقاطعته « روزا » بإشارة منها ثم أرهفت سمعها وهى قلقة مضطربة فسألها :

— « ماذا بك ؟ » فقالت :

— « خيل إلىّ أنى أسمع وقع أقدام على السلم تختلف عن وقع أقدام

أبى فلعله السيد يعقوب ! »

وخفت مسرعة إلى السلم فسمع «كرنيليوس» قبل أن تصل «روزا» إلى ناحية السلم صوت باب يغلق ، ثم ساد الصمت والسكون . وبقى «كرنيليوس» مضطربا قلقا حتى وافته «روزا» فى مساء اليوم التالى وأخبرته أنها لم تجد فى طريقها ليلة أمس إلى غرفتها ما يثير الريب فاطمأن قلبه .

وكان من عادة السجان أن يزور السجين ثلاث مرات فى اليوم ، ولما كان يعتقد فى قرارة نفسه أن «كرنيليوس» غير برىء مما اتهم به ، وأنه رجل دهاء ومؤامرات ، فقد حرص أن يزوره على غرة وأن يغير مواعيد زياراته لعله يفاجئه متلبسا بذنب من الذنوب فيرفع أمره إلى أصحاب الشأن .

وعلى مثل هذه الرغبة والغاية فاجأه ذات صباح ودخل عليه محبسه ، فرآه جالسا وفوق ركبتيه شىء لم يتبينه ، فأبرقت أساريره سرورا ظنا منه أنه توصل أخيرا إلى أن يضبط سجينه على حال محظورة ، فلا ريب أن له شركاء جاءوه بذلك الشىء ، فانقض عليه انقضاض الصقر على فريسته .

ولم يكن فوق ركبة «كرنيليوس» إلا قحف الجرة الذى زرع فيه بزرته السوداء ينظر إليه وإلى الأمل المزروع فيه نظرة المحب الولهان إلى حبيبه .. فلما انقض السجان على القحف حال «كرنيليوس» بينه وبين ما يريد فنهض واقفا يحمى إناءه بذراعيه فقال السجان :

— « لقد ضبطتك أخيراً متلبساً بجريمتك . . . ماذا تخبئ فى هذا القِحْف ؟ » فقال « كرنيليوس » مضطرباً :

— « لا شىء » .

وهجم السجان على سجينه لينتزع منه ذلك القِحْف فما مكّنه « كرنيليوس » منه فصاح فيه السجان :

— « تلجأ إذن إلى التمرد والعصيان ! » فقال « كرنيليوس » :

— « اترك لى يا سيدى زنبقتى » .

فضحك السجان وقال :

— « زنبقة ؟ ! تلك حِيَل نعرفها فى حضرات السجناء ! » فقال « كرنيليوس » :

— « أقسم لك يا سيدى . . . » فقاطعه السجّان وقال :

— « أعطنى هذا الذى معك أو ناديت الحراس » . فقال «كرنيليوس» .

— « نادِ من تشاء فلن تظفرَ بهذه الزهرة المسكينة ! »

فمدّ السجان يده إلى وسط القِحْف فغاصت فى التّربة المبلولة ، فنزعها بسرعة ، ونزع معها حَفْنَةَ من الطين كانت فيها البزرة المزروعة وما نَجَم عنها من عروق ، فأحس بشىء يداعب راحة كفه ، فرمى بحفنة الطين وما حوت إلى الأرض ، وأهوى عليها يسحقها بقدمه الغليظة .

رأى « كرنيليوس » بزرته مطروحة إلى الأرض محطمة مسحوقة فزّق



اليأس والحزن قلبه ، واحمرّت عيناه سُخطاً وغضباً ، وحدّثته نفسه بقتل ذلك السجان الغليظ الكبد وسحقه كما سحق بزرة الزنبقة السوداء ، فرفع قِحْف الجرّة وكاد يهوى به على رأس السجان لولا صوت مفعم بالأسى والانتحاب انبعث فجأة من وراء باب المحبس ، وكان صوت « روزا » ، فألقى « كرنيليوس » بالقِحْف إلى الأرض فتحطم وتناثرت قطعه فى أنحاء المحبس ، ودخلت « روزا » فى تلك اللحظة فوقفت بين أبيها و« كرنيليوس » .

وأدرك السجان أيّ خطر عرّض نفسه له ونجا منه ، فطفق يكيل للسجين الشتائم والوعيد ، فقال له « كرنيليوس » :

— « ما أقساك أيها الرجل وما أغلظ كبدك ، لقد نزعت منى عزائى الوحيد فى الحياة بسحقك بزرة الزنبقة التى أتعهدها وأرعاها » .

ثم سمع السجان ابنته تقول له :

— « لقد ارتكبت يا أبى جريمة لا تغتفر ! » فقال السجان مخاطباً ابنته فى غضب :

— « اهتمى بشئونك يا فتاة ولا تتدخلى فيما لا يعنيك » .

وبعد أن سكت هنيهة قال :

— « وماذا لو سحقت زنبقة من الزنابق ! هذا إذا صح أن ما سحقت كان زنبقة ولم يكن أداة من أدوات الاتصال بينك وبين أعداء الأمير ! »

فصاحت « روزا » فى أبيها :

— « أبى ! أبى ! ماذا تقول ؟ ! » فقال السجّان لابنته وكان قد سمع صوتًا فى السلم يناديه :

— « اغرُبى من هذا المكان فصديقى يعقوب ينادينى ، وسألحق بك بعد أن أغلق باب هذا المحبس وأطمئنّ إلى أقفاله » .

فمشت « روزا » إلى الباب ومرت بالدكتور « كرنيليوس » وقالت له بصوت يشبه الهمس :

— « غداً نزرع بزرة أخرى » .





١٢

فى مساء ذلك اليوم عادت « روزا » تزور « كرنيليوس » كعادتها فى كل مساء ، فأنهت إليه ، أوّل ما أنهت ، أن أباها لن يعترض بعد اليوم على أن يزرع « كرنيليوس » الزنبق فى محبسه ، وأنه ندم على ما فعل كلّ الندم ، وأن صديقه يعقوب قد أنبه أشد التأنيب على ما ارتكب من حماقة وجريرة . فقال لها « كرنيليوس » متنهداً :

— « أيعْنَى صديقكما هذا بالأزهار ؟ » فقالت :

— « لا شك فى ذلك فلو رأيته عندما أخبره والدى بما فعل ، ورأيت كيف نزل الخبر عليه نزول الصاعقة ، لجزمت أنه عاشق من عشاق

الأزهار » . فقال « كرنيليوس » :

— « يا للرجل العظيم ويا للقلب الكبير ! » فقالت « روزا » :

— « وبقى فترة من الزمن ينتحب ويثور ويصيح فى أبى : ويحك كيف تسحق بزرة الزنبقة ؟ ! ويحك ! ثم التفت إلىّ وسألنى : ولكنها ليست البزرة الوحيدة فى حوزة السجين ! » فاضطرب « كرنيليوس » وقال :

— « أسألك هذا السؤال ؟ » فقالت « روزا » :

— « نعم ! ووعده أبى بأن يفتش عن البزور الأخرى فقال له يعقوب : "كان عليك أن تفتش السجين . . . فى العادة أن يكون هناك ثلاث بزور" » فقال « كرنيليوس » مدهوشاً :

— « أقال إن عندى ثلاث بزور ؟ » فقالت « روزا » :

— « أجل . . . ولما أخبره أبى أنك ربما لا تحفظ تلك البزور فى جيبك، اقترح عليه أن يخترع سبباً من الأسباب يقصيك به عن محبسك، ويقوم هو فى تلك الأثناء بالبحث والتفتيش » . فقال « كرنيليوس » :

— « إن صاحبكما هذا لمجرم أثيم ! » فقالت « روزا » :

— « أخشى أن يكون كذلك » . فقال « كرنيليوس » :

— « ألم تذكرى لى أنك لمحته يتبعك يوم نزلت إلى الحديقة لتعتنى بالأزهار؟ » فقالت « روزا » :

— « هو ذاك . » فقال « كرنيليوس » :

— « لقد وضح الأمر فلم يتبعك الرجل لأنه مغرّم بك ، بل لأنه يريد أن يعرف أين زرعت بزرة الزنبقة السوداء » . فقالت « روزا » :

— « أتعتقد ذلك ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « كل الاعتقاد . . . انزلى غداً إلى الحديقة بحيث يعلم أنك نازلة إليها ، فترى أنه سيتبعك ويرقُب كل حركة وسكنة تأتينها فى الحديقة . . . » فقالت :

— « سأفعل ذلك . . . وأرى يا سيدى أن أردّ إليك البزرة التى أحتفظ بها ، فتزرعها فى غرفتك بدل تلك التى حطمها والدى ، فتتعزّى وتتأسى عما فقدت . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « كلا . كلا . لا أريد . . . إنما أريد أن تحتفظى بالبزرة التى أوصيتك أن تخبئيها فسوف نتعاون معاً على زرعها فى المكان والزمان اللذين أختارهما لك ، فإذا اتبعت إرشادى ونصائحى نبتت تلك الزنبقة التى ستكسبك الجائزة الثمينة » .

وقضت « روزا » فى مسامرة « كرنيليوس » بعض الوقت ، وساءها أن يستبين لها حب « كرنيليوس » لزنابقه ولا شىء غير الزنابق ، فى حين كانت تعلّل النفس أن يكون لها فى قلب ذلك الحبيب المنزلة الأولى ، فودّعته وانصرفت إلى غرفتها مهمومة حزينة .

وعبثاً حاولت أن تجد إلى النوم سبيلاً فقد كانت فريسة للأرق والقلق ، فنهضت إلى الكتاب المقدس هدية «كرناى دى ويت» لها ، وشغلت ليلها بقراءته وتلاوة آياته، فهى اليوم تعرف القراءة بعد الدروس التى أخذتها عن «كرنيليوس» . وانقضى هزيع آخر من الليل وهى لا تزال مسهدة الجفون ، فعمدت إلى قلم وورق تمرّن نفسها على الكتابة .

وقضى «كرنيليوس» مثل ليلتها سُهْداً وغماً ، فقد أطار النوم من عينيه حزنُه على بزرته المحطمة ، وخوفه على البزرتين الأخريين، وقلقه أن تكون «روزا» قد أخطأت فى فهم عاطفته نحوها ، فاستقرّ فى ذهنها أن لا محل لها فى قلبه بعد زنابقه الغوالى، فمزّق هذا الخاطر جوانحه ، وخشى معه أن تنقطع «روزا» عن زيارته فيفقد بها وبزنابقه أعزّ حبيبين لديه .

وتجسّمت مخاوفه فى الأيام التالية وامتلأ قلبه يأساً ، فها هى ذى ثمانية أيام تمر عليه و«روزا» لا تلقاه ولا تزوره فطارت نفسه شعاعاً ، وأظلمت الدنيا فى عينيه ، وودّ لو يخرج من هذه الحياة ، فما عاد له فيها أمل يزينها له ويرتقب تحقيقه .

وفى مساء اليوم التاسع سمع فى الموعد الذى تعوّدت «روزا» أن تزوره فيه وقع أقدام خفيفة فجرى إلى كوّة محبسه فرآها قد فتح بابها وبدا منها وجه «روزا» الجميل، فكاد يُصْعَق من الفرح . ثم سمعها تقول له:

ـ «لقد صدقت فراستك، فإن يعقوب لم يجىء إلينا مغرماً بى وخاطباً

يدى وإنما جاء من أجل زنابقك . . . »

فازداد ارتعاد « كرنيليوس » فاستأنفت « روزا » حديثها وقالت :

— « ولما طلع الصباح بعد المساء الذى زرتك فيه آخر مرة ، نزلت إلى الحديقة ومشيت إلى المكان الذى أعددته لزراعة البزرة، وأنا أحاول أن أرقُب هل من أحد يتبعنى » .

فقال « كونيليوس » :

— « ثم ماذا ؟ » فقالت « روزا » :

— « لمحت يعقوب هذا يتبع خطواتى متدارياً وراء الجدران والأعمدة، فلما انتهيت إلى الحديقة تظاهرت أنى أزرع البزرة فى المكان الذى كنت سوّيته وأصلحته ، فرأيت عينيه من خلال الأغصان والأشجار تبرقان بريق عينَى النَّمِر » .

فقال « كرنيليوس » :

— « أرأيت هذا الذى ظننت أنه يهواك ؟! » فاستأنفت « روزا » حديثها وقالت :

— « ثم تظاهرت أنى فرَغت من مهمتى . فنفضت يدىّ وعدت من حيث أتيت» .

فقال « كرنيليوس » :

— « وماذا فعل هذا الخبيث بعد ذلك ؟ » فقالت « روزا » :



— « انتظر قليلاً ليتحقق أنى لن أعود ، ثم دلف من مخبئه ومشى إلى الحديقة كما تمشى الذئاب ، وكنت أنا فى هذه المرة أرقبه وأحصى عليه حركاته ؛ فرأيته سار إلى المكان الذى أوهمته أنى زرعت فيه البزرة ، حتى إذا وصل إليه تلفت يميناً وشمالاً ، ونظر إلى الأبواب والنوافذ وإلى كل زاوية من زوايا الحديقة ، فلما وثق أن لا عين تراه ، ولا أذن تسمع لُهاثه ودقات قلبه، غرز يديه فى التربة المبلولة ونزعهما مملوءتين من الطين ، وأخذ يتحرى ذلك الطين ليعثر فيه على ما يطلب... » فقال «كرنيليوس» :

— « يا للص ! . . . يا للسارق الزنيم ! » فقالت « روزا » :

— « وكرر ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يعثر على شىء عرف أنى خدعته ، فخمد جشعه وأصلح الحفرة التى حفرها ، وسوى الأرض بعدها وعاد وهو يطوف على الغراس والأزهار طواف المتنزه المستمتع . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « يا للص ! . . . والبزرة ماذا صنعت بها يا "روزا" ؟ » فقالت « روزا » :

— « زرعتها . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « أين ؟ أين ؟ أفى مأمن هى من هذا اللص الفاجر ؟ » فقالت « روزا » :

— « إنها فى مأمن ما لم يقتحم هذا الرجل مخدعى » . فهدأت ثائرة « كرنيليوس » وقال :

ـ « آه ! إنها فى مخدعك . . . » فقالت « روزا » :

ـ « زرعتها فى إناء من الفخار فى عرض ذلك القحف الذى زرعت فيه بزرتك ، وجعلت الإناء فى وضع يستقبل معه حرارة الشمس طول النهار ، وعندما تنجم العروق فسأعرضها للشمس والظل كما كنت تفعل أنت » . فصاح « كرنيليوس » :

ـ « هو ذاك . . . هو ذاك . . . إنك لبستانية ماهرة يا عزيزتى "روزا" ومنذ كم زرعتها ؟ » فقالت « روزا » :

ـ « منذ ثمانية أيام . . . وقد انقطعت عن زيارتك فى هذه المدة لأنى كنت معنية بزنبقتك ليل نهار . . . » فقال « كرنيليوس » :

ـ « أتعتنين بزنبقتى وتهجريننى أنا ؟! » فقالت « روزا » :

ـ « آثرت أحبَّ الأمرين إليك ! » فقال « كرنيليوس » مهموماً :

ـ « لا أنكر أنى أحب الأزهار حباً جماً ، ولكننى أحب زهرة لا تعدلها أزهار الأرض قاطبة . . . أحبك أنت يا "روزا" فوق زنابقى وفوق كل شىء . . . فلا تحرمينى سماع صوتك العذب ، ووقع أقدامك على السلم ، ولا تبخلى علىّ برؤية النور يتألق فى عينيك وينير لى ظلمة الحياة . . . إنى أحبك فوق كل شىء . . . » فقالت « روزا » :

ـ « فوق الزّنبقة السوداء ؟ » فقال « كرنيليوس » :

ـ « فوق الزنبقة السوداء . . . » فقالت « روزا » :

— « أأومن بهذا الكلام ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « إيمانك بالله » . فقالت « روزا » :

— « إذن أعود إلى زيارتك فى كل مساء » . فقال « كرنيليوس » :

— « أجل . . . عودى . . . عودى . . . ناشدتك الله ! »

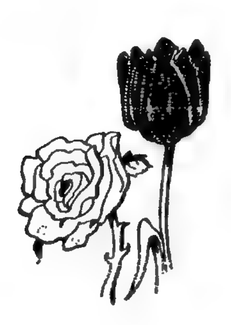
فقالت « روزا » :

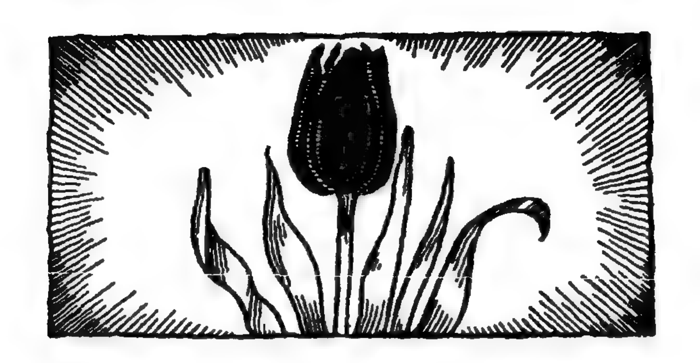
— « أشترط مقابل ذلك أن لا تحدثنى عن الزنبقة السوداء مدة ثلاثة أيام » .

فقال « كرنيليوس » :

— « بل لن أحدثك عنها أبداً إذا شئت ! » فقالت « روزا » :

— « لا . لا . أنا لن أطلب المستحيل ! »





١٣

انتعش « كرنيليوس » بتلك الزّورة التى لقى فيها « روزا » فنام نوماً هادئاً ، واستيقظ فى الصباح فجرى إلى النافذة ليستنشق النسيم العليل كأنه يستنشق معه نسيم الحياة معطراً بالبهجة والسرور .

ولما دخل عليه السّجان يزوره زورة الصباح ، ويحمل له طعام الإفطار ، دهش أشدّ الدهش لما رآه عليه من مَرَح وابتهاج ، فظنّ به الظنون ، واعتقد أن سجينه قد أفلح فى مؤامرة من المؤامرات ، ولا سيما عند ما رآه يقبل على الطعام بعد أن كان فى الأيام الماضية يعزُف عنه فى سأم ظاهر واضطراب مبين .

ثم تركه ومضى ، وعاد إليه عند الظهر يصحبه ثلاثة جنود فأغلق الباب وقال لهم :

— « هيا إلى التفتيش ! »

فاقترب الجنود من السجين ، وأخذوا يفتشون جيوبه ، ويفتشون ما بين سُتْرته وقميصه ، وما بين قميصه وجسمه ، فما عثروا على شيء . . . ثم فتشوا سريره وما عليه من أغطية وفراش ، فما عثروا على شيء . . . فانسحب السجان وجنوده وودّعهم « كرنيليوس » بقهقهة طويلة أجابه عنها السجّان قائلاً :

— « اضحك ما شئت فالسعيد من يكون الضاحك الأخير ! »

وقضى « كرنيليوس » بقية نهاره مبتسماً مسروراً ، واستقبل فى المساء حبيبته « روزا » ودار سمرهما على كل شيء إلا على الزنبقة السوداء ، وهكذا كان فى المساء التالى حتى جزمت « روزا » بأنها فازت على غريمها ، ورسخ اليقين فى نفسها بأن « كرنيليوس » يؤثرها على زنابقه مع شدة حبه لتلك الزنابق ففاض قلبها زهواً وحبوراً .

ورأت فى المساء الثالث أن تختصر مدة الشرط ما دامت قد وثقت بحب « كرنيليوس » فوافته فى الموعد وبادرته قائلة :

— « لقد بَسَقَتْ . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « لقد بسقتْ ؟ أىّ بَسَق ؟ وعمّ تتحدثين يا عزيزتى ؟ » فقالت « روزا » :

— « الزنبقة » . فصاح « كرنيليوس » :

— « أتتحدثين عن الزنبقة قبل مرور الأيام الثلاثة التى اشترطتِها ؟ »

فقالت « روزا » :

— « نعم . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « أبسقتْ مستقيمة ؟ » فقالت « روزا » :

— « أجل مستقيمة وطولها الآن نحو بوصتين». فقال « كرنيليوس » :

— « اعتنى بها يا " روزا " كل العناية لتنمو وتزكو وتترعرع » .

فقالت « روزا » :

— « هى شغلى الشاغل . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « شغلك الشاغل ؟ . . . وأنا ؟ لقد بدأت أغير منها ! » فقالت « روزا » :

— « منذ أن أصبحت فى غرفتى وأنا ملازمة الغرفة ، وأقوم بأعمالى كلها فيها ولا أتحوّل ببصرى عن ذلك الإناء الذى يحوى كنزك الثمين » .

فقالَ « كرنيليوس » :

— « بل كنزك أنت . . . ألم نتفق على أن يكون مبلغ الجائزة بائنة لك ؟ » فقالت « روزا » :

— « نعم اتفقنا على ذلك ، واتفقنا أيضًا أن أهب تلك البائنة لشاب أتزوّجه فى نحو الثامنة والعشرين من العمر » . فقال « كرنيليوس » :

— « دعينا من هذا الآن يا قاسية » .

وقضى السجين وزائرته قسطاً من الليل فى سَمَر ممتع ، وكان « كرنيليوس » فيه أسعد السّعداء . فقد عادت المياه إلى مجاريها بينه وبين حبيبته ، وعاد حديثهما يحوم حول الحب والزنابق .

واستمرّا على هذا فى الليالى الأخرى هانئين سعيدين ، وكانت « روزا » تحدّثه كل ليلة عن الزنبقة المزروعة فى غرفتها ، وتطلعه على أخبارها وأحوالها ، واطراد نموّها وبروز أوراقها ، حتّى جاءته فى ليلة من الليالى وقالت له فى بهجة وفرح :

— « إن الزنبقة قد باتت معقودة الكمّ » .

فكاد « كرنيليوس » يطير عقله من الفرح بل كاد يغمى عليه من شدّة السرور ، فأمسك بقضبان الكوّة التى تفصل بينه وبين « روزا » فقد شعر بقواه تخذله وتهرُب منه عند سماعه ذلك النبأ العظيم .

وحدّث ولا حرج عن مبلغ سروره عند ما جاءته « روزا » بعد ليلتين تخبره أن الكم قد تفتح وبدت منه الزنبقة ، فأخذ يهذى طرباً ثم سأل « روزا » :

— « أرأيت لونها ؟ . . . قولى . . . أرأيت لونها ؟ يمكن رؤية اللون ما دامت قد تفتحت . . . » فقالت « روزا » :

— « لونها أسود كالحبر » . فصاح « كرنيليوس » :

— « أسود كالحبر ؟ ! بوركت يا " روزا " بوركت أيها الملَك الذى جاء يحمل إلىّ أطيب بشرى . . . إنك لأكمل مخلوق برأه الله على هذه الأرض » .

فقالت « روزا » هادئة رزينة :

— « بعد الزنبقة طبعاً ! » فقال « كرنيليوس » :

— « لا تعكرى علىّ صفو سرورى ، ولا تكونى قاسية القلب . . . ولكن . . . إن بدأ كِمُّها ينشق عنها فسوف تتفتح وتبدو زهرة ناضرة بعد يومين أو ثلاثة . . . ويحى ما أشقانى ! إنى لن أراها ولن أقبل هذه المعجزة من معجزات الله . . . » فقالت « روزا » :

— « أقطفها وآتى بها إليك » . فقال « كرنيليوس » :

— « كلا . . . كلا . . . ضعيها فى الظل عندما تتفتح . . . ثم عليك أن تكتبى فى الحال إلى رئيس الجمعية الزراعية فى " هارلم " وتخبريه أن الزنبقة السوداء قد برزت إلى الوجود وأنها فى حوزتك . . . إن مدينة " هارلم " بعيدة ولكن لن تعدمى رسولاً توفدينه إليها . . . »

ودقت ساعة القلعة عشر دقات فرجعت « روزا » إلى غرفتها بعد أن شيعها « كرنيليوس » بالدعوات الصالحات . . .

وجاءت « روزا » فى ليلتين متواليتين تُفضى إلى « كرنيليوس » بشئون الزنبقة السوداء وتصف له كيف تنمو رويداً رويداً ، وكيف بدأ

يتألق بهاؤها وجمالها ، فكان يستمع لمحدّثته وكأنه فى عالم من الرُّؤى والأحلام . . .

وانتظرها فى الليلة الثالثة فلم توافه فى الموعد الذى تعودت أن تزوره فيه ، فدبّ القلق فى نفسه ، وحسب لغيابها ألف حساب . وبينما هو فى همّ مُعقد مقيم إذ سمع حفيف ثوب أعقبه صوت ناعم يقول له :

— " كرنيليوس " . . . " كرنيليوس " . . . تعال وانظر . . . »

فجرى « كرنيليوس » إلى الكوّة فرأى « روزا » وسمعها تقول له :

— « لقد تفتحت وازدهرت . . . إنها سوداء كالليل . . . وها هى ذى . . . » فصاح « كرنيليوس » :

— « أوَأتيتِ بها ؟ ! » فقالت « روزا » :

— « لا بأس من المجازفة قليلاً فى سبيل أن تتمتع برؤيتها » .

ورفعت « روزا » المصباح الذى كان بيسراها ، فانعكس ضوؤه على الإناء الذى كان بيمناها ، فبدت الزنبقة السوداء لعين « كرنيليوس » فوقف ذاهلاً كالمبهوت فقالت له « روزا » :

— « قبلها كما قبلتها منذ قليل . . . »

فمد « كرنيليوس » شفتيه من فجوة قضبان الكوّة ، وطبع على أحد خدود الزنبقة قبلة خفيفة تجمع فيها كل شعوره الخفاق ثم قال :

— « عزيزتى " روزا " يجب أن لا نضيّع دقيقة واحدة . . . يجب أن

تكتبي الرسالة إلى رئيس الجمعية الزراعية » . فقالت « روزا » :

— « لقد كتبتها يا عزيزى . . . خذ واقرأها وقل لى رأيك فيها »

فتناول « كرنيليوس » الرسالة من صدر « روزا » وقرأ فيها ما يلى :

« سيدى الرئيس :

إن الزنبقة السوداء ستتفتح وتبلغ كامل نموها بعد دقائق قليلة . . . وسأرسل إليك رسولاً يرجو منك بلسانى أن تحضر إلى قلعة "لاوستن" لتتسلمها . . . إنى ابنة السجان "جريفوس" ويصعب علىّ أن أرحل إليك بها فأنا أكاد أكون سجينة فى القلعة كبقية السجناء . . . لذلك ألتمس منك أن تحضر أنت لتتسلم الزنبقة السوداء .

وإنى أرغب أن تسميها "روزا كرنيليوس" . . . ها هى ذى قد تفتحت وهى سوداء كالليل . . . فتعال يا سيدى الرئيس تعال . . .

خادمتك المطيعة

« روزا جريفوس »

ولم يسع « كرنيليوس » بعد أن قرأ الرسالة إلا أن يقول :

— « إنها رسالة بديعة ... فلا نضيع دقيقة واحدة . . . هل وجدت الرسول ؟ »

فقالت « روزا » .

— « نعم . . . وما اسم رئيس الجمعية الزراعية فى "هارلم" ؟ »

فقال « كرنيليوس » :

— « إنه معروف جداً . . . هاتى الظرف لأكتب لك عنوان رئيس الجمعية » .

وأخذ « كرنيليوس » الظرف وكتب عليه بيد مرتجفة عنوان رئيس الجمعية الزراعية فى مدينة « هارلم » وسلمه إلى « روزا » فأخذته وودّعت « كرنيليوس » عائدة إلى غرفتها فودّعها وهو يقول : « على بركة الله » . . .





١٤

شيَّع « كرنيليوس » حبيبته « روزا » وهو يستمطر لها بركات الله وحفظه ورعايته ، وليس غير عناية الله يحميها من براثن يعقوب صديق والدها .

ولا ريب أن القارئ قد فطن منذ أول وهلة ، أن يعقوب هذا ما هو إلا « إسحق بوكستل » جار الدكتور « كرنيليوس » تنكر بهذا الاسم ليدرأ عنه الشبهات . فقد لحق بجاره « كرنيليوس » إلى سجن « لاهاى » طمعاً فى الظَّفَر ببزور الزنبقة السوداء فأخفق فى سعيه ، ثم لحق به إلى هذه القلعة واستطاع أن يكسب ثقة السجان بما أغدقه عليه من هدايا ،

وبما أتحفه به من زجاجات الخمر كانا يشربانها معًا فى كل مساء وينقلبان بعدها ناعسيْن ثمليْن .

لم يكتف يعقوب بمغرياته ، فزاد عليها تلويحه للسجان برغبته فى أن يتزوّج ابنته « روزا » فسارت الأمور على ما يهوى ويشتهى . وكان لا يفتأ يوغر صدر السجان على السجين ، موهمًا إياه بأن السجين حليف الشيطان ، وأنه يدبّر معه المكايد لإيذاء الأمير « جيوم » حتى حمله على تفتيشه وتفتيش محبسه ، وكان يأمل فى قرارة نفسه أن يوفق السجان إلى العثور على بزور أخرى للزنبقة السوداء غير التى حطمها بقدمه المجرمة .

واستطاع كذلك أن يكسب ثقة «روزا» بذلك الود الذى كان يمحّضها إياه ، حتى كان اليوم الذى لحق بها فيه إلى الحديقة ، فأثار فى نفسها الرِّيَب ، وحملتها مخاوف « كرنيليوس » على أن تتجنَّبه وتحذر منه .

كان يعقوب فى أول الأمر يكتفى بمراقبة « روزا » فى رابعة النهار ، فلما ثبتت له خديعتها إياه ، صحّ فى ذهنه أن بينها وبين السجين اتفاقًا على شىء من الأشياء ، فعقد العزم على أن يراقبها ليلاً فكمن لها فى ذلك المساء الذى زارت فيه « كرنيليوس » وفى يدها الإناء المزروعة فيه الزنبقة السوداء ، وتبعها حافى القدمين فرآها قد صعدت إلى محبس السجين ، فسرى وراءها واختبأ وراء عمود من الأعمدة ، فسمع كل ما دار بينهما من حديث ، وعرف أن هذا الذى تحمله « روزا » هو الزنبقة السوداء

فسال لعابه ، واتقدت عيناه ، وودّ لو يهجم على الفتاة وينتزع منها ذلك الكنز الثمين ويفرّ به هاربًا إلى مدينة « هارلم » ليقدّمه إلى رئيس الجمعية الزراعية ويتسلم الجائزة .

وعرف وهو يتصنّت إلى حديثهما أن « روزا » سترسل إلى « هارلم » رسولاً يحمل كتابًا إلى رئيس الجمعية الزراعية فى تلك المدينة تدعوه فيه للحضور إلى القلعة ليشهد بنفسه هذه المعجزة فى عالم الأزهار .

وأخذ يقدّح زناد فكره لعله يتوصّل إلى وسيلة من الوسائل يسرق بها ذلك الإناء وما حوى ، فقطع عليه حبل التفكير كلمات الوداع التى تبادلها الحبيبان ، فعلم أن « روزا » عائدة بالكنز إلى غرفتها . فجرى إلى السلم ونزل درجاته أربعًا أربعًا ، وكمن فى أحد المخابئ ، فرأى « روزا » قد رجعت بالزنبقة إلى غرفتها وأوصدت الباب بالمفتاح .

واضطرمت نار الجريمة فى فؤاده، ووسوس له الشيطان أن يقتحم غرفة الفتاة ، ويخطف منها تلك الجوهرة ، فلن يصعب عليه فتح الباب الموصَد ، وفى جيبه حلْقة قد ضمت عدداً من مختلف المفاتيح ، فإن لم يجد فيها ضالته فلسوف يحطم الباب ولو ملأت الفتاة القلعة صياحًا .

وبينما هو يتنقّل من فكرة إلى فكرة ، ومن رأى إلى رأى ، طرق مسمعه صرير مفتاح ، فأرهف أذنيه وشخص ببصره فرأى « روزا » قد خرجت من غرفتها ، وأغلقت الباب وأوصدته بالمفتاح ، وسارت إلى باب

القلعة . فاستغرب خروجها فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، واستبعد أن تكون قد نوت السفر ليلاً إلى مدينة « هارلم » . وبأسرع من البرق جرى إلى غرفتها وجرّب مفاتيحه فى قفل الباب ، فأناله واحد منها لُبانته ، فدخل الغرفة وعلى فمه ابتسامة عريضة . . .

أما « كرنيليوس » فلم يغمض له جفن فى تلك الليلة ، فقد غلب عليه السرور حتى أخافه وأقض مضجعه . فعلمه وتجاربه قد أثبتا له الزنبقة السوداء وهى غاية مطمحه وأمانيه ، وحبيبته « روزا » قد أصبحت لا تكتمه حبها وهواها فما بعد سعادته من سعادة .

وعندما لاح الفجر فى الأفق ، وتسرّبت خيوط النور إلى محبسه من خلال قضبان النافذة ، سمع « كرنيليوس » وقع خطوات مضطربة تقرب من محبسه ، وما هى إلا ثوان معدودات حتى رأى « روزا » تُقبل عليه شاحبة الوجه . لاهثة متقطعة الأنفاس ، وتقول له من وراء قضبان الكوّة :

— « "كرنيليوس" ! "كرنيليوس" » فقال :

— « ما بك يا " روزا " ؟ ما هذا الاضطراب ؟ » فقالت :

— « "كرنيليوس" ! الزنبقة السوداء ! ! » فقال وقد أعداه اضطرابها :

— « ماذا بها ؟ ! » فقالت :



— « آه يا إلهى ، كيف أخبرك ؟ » فقال متلهفاً :

— « قولى . . . أفصحى . . . » فقالت :

— « لقد أخذوها منا . . . لقد سرقوها . . . » فقال :

— « أخذوها منا ؟ ! سرقوها منا ؟ ! » فقالت « روزا » وقد استندت إلى الباب حتى لا تقع من شدة الخور والاضطراب :

— « نعم سرقوها ! » فقال :

— « كيف تُسرق وهى فى يدك وحراستك ؟ » فقالت :

— « تركتها دقائق قليلة . . . فقد خرجت فى جنح الليل ، وذهبت إلى منزل الرسول الذى كنت اتفقت معه على أن يحمل رسالتى إلى "هارلم" ومنزله قريب من القلعة ، فسلمته الرسالة ولما عدت إلى غرفتى لم أجد الزنبقة . . . » فقال :

— « ضربت بتحذيرى عُرْض الحائط ، وتركت باب غرفتك مفتوحاً ! » فقالت :

— « كلا . . . كلا . . . أوصدت الباب بالمفتاح ، وعدت فلقيته موصداً ، ووجدت الغرفة على ما تركتها عليه . . . » فقال :

— « فتح السارق إذن باب غرفتك بمفتاح مصطنع . . . » فقالت وهى تنتحب :

— « سرقوها ! . . . سرقوها . . . ! عفوك ورحماك يا سيدى ! »

فتملّك « كرنيليوس » الغضب ، وأمسك بقضبان الكوّة يريد أن يحطمها ، فأخذته الشفقة على « روزا » المنتحبة الباكية فقال لها :

ــ « هونى عليك ولا تستسلمى إلى الجزع ، فالخطب عظيم ولكن قد نستطيع التغلب عليه ما دمنا نعرف السارق . . . » فقالت « روزا » مذهولة :

ــ « أنّى لنا أن نعرف السارق ؟ ! » فقال :

ــ « إنه " يعقوب " الفاجر صديق أبيك . . . فعلينا أن لا نتركه يذهب بثمرة أتعابنا وسهرنا وحبنا . . . يجب اللحاق به ومطاردته . . . إنه لاشك الآن فى طريقه إلى مدينة "هارلم" آه لو كنت حرًّا طليقًا لأدركت هذا اللص ، وأجبرته على أن يعترف بجريمته . . . افتحى لى هذا الباب وإلا حطمت محبسى حجراً فوق حجر . . . »

وبرز « جريفوس » السجان فى تلك اللحظة ، فأخذ هو أيضًا يتوعّد السجين ويتوعّد ابنته ويتهمها بمشاركة السجين فى التآمر على أمير البلاد ، فساقها أمامه وغاب معها عن أنظار « كرنيليوس » المسكين .

وكأنما خطر ذا وهى تسير مع أبيها خاطر ارتاحت له فصاحت بأعلى صوتها :

ــ « لم نخسر المعركة بعد . . . فاعتمد علىّ يا عزيزى "كرنيليوس" »

وفى هذه الأثناء كان يعقوب أو « إسحق بوستل » يجدّ فى الرحيل إلى

مدينة « هارلم » ومعه الزنبقة السوداء بعد أن خرج من الباب الذى فتحته « روزا » فوصل إلى المدينة فى صباح اليوم التالى، ونزل بأحد فنادقها الكبيرة واستبدل بإناء الزنبقة إناء أجمل ؛ وبعث برسالة إلى رئيس الجمعية الزراعية يخبره فيها بالحدث العظيم ؛ ومكث ينتظر الجواب . . .





١٥

رجعت « روزا » إلى غرفتها وقد شَحَذ المصاب عزمها وهمتها فصمَّمت على أمر خطير . . .

تناولت من غرفتها ما تحتاج إليه فى السفر ، وأخذت معها مبلغاً من النقود كانت قد ادّخرته ، ومشت إلى خزانتها حيث خبأت البزرة الثالثة للزنبقة السوداء ، فأخذتها بالورقة الملفوفة فيها ، ودسَّتها فى صدرها ، وخرجت خُلْسة من القلعة .

ذهبت إلى تاجر خيول وكان يعرفها فاشترت منه جواداً ، وركبته وجدّت فى السير إلى مدينة «هارلم» آملة أن تلتقى فى الطريق بالشاب

الذى عهدت إليه فى حمل الرسالة ، فأدركته بعد نحو ساعة ، فاسترجعت منه الرسالة وشكرته فعاد إلى منزله وتابعت هى سفرها إلى مدينة « هارلم ».

أسرعت « روزا » فى السير لعلها تدرك أيضاً إسحق السارق فلم تفلح فإن إسحق كان قد سبقها بنحو أربع ساعات فوصلت فى اليوم التالى إلى مدينة « هارلم » متأخرة عنه بقدر تلك الساعات الأربع . فذهبت تواً إلى لقاء رئيس الجمعية الزراعية ، وكان مشغولاً بكتابة تقرير إلى مجلس الإدارة فلم يستقبلها ، فأعادت الكرة على الحاجب ، وطلبت إليه أن ينهى إلى الرئيس أنها جاءت تحدثه عن الزنبقة السوداء ، فسمح لها الرئيس بالدخول إلى مكتبه فى الحال وبادرها قائلا :

— « قلت يا آنسة إنك قادمة من قبل الزنبقة السوداء . . . » فقالت « روزا » :

— « جئت يا سيدى أحدثك عن الزنبقة السوداء . . . » فقال الرئيس مبتسماً :

— « أهى سليمة نضرة ؟ » فقالت « روزا » :

— « لست أدرى يا سيدى ! » فقال الرئيس مدهوشاً :

— « أأصيبت بكارثة ؟ ! » فقالت « روزا » :

— « أنا التى أصبت بكارثة يا سيدى فقد سُرِقت منى ! » فقال الرئيس :

— « ومن سرقها ؟ » فقالت « روزا » :

— « لست أدرى ولا أجرؤ على الاتّهام . . . »

فضحك رئيس الجمعية كأنه وثق بأمر من الأمور فقال :

— « أتتهمين سيدك ؟ » فقالت « روزا » :

— « ومن سيدى هذا ؟ » فقال الرئيس :

— « صاحب الزنبقة السوداء التى رأيتها لديه منذ نحو ساعتين . . . السيد " إسحق بوكستل » " فقالت « روزا » :

— « لست أعرف رجلاً بهذا الاسم . . . »

وفكرت هنيهة ثم صاحت :

— « سيدى ! هذا الرجل الذى سميته أهو نحيف البنية ؟ » فقال الرئيس :

— « نعم » فقالت « روزا » :

— « وأصلع الرأس » . فقال الرئيس :

— « نعم » . فقالت « روزا» :

— « وزائغ العينين ، محدودب الظهر ، مقوّس الفخذين ؟ » فقال الرئيس :

— « إنك يا آنسة تصوّرين تمام التصوير السيد " إسحق بوكستل " » فقالت « روزا» :

— « إن الزنبقة التي لديه يا سيدى هي زنبقتي . . . هي الزنبقة التي سرقت مني . . . إنها ملكي وأطلب إليك يا سيدى أن تعيدها إليّ . . . »
فقال الرئيس :

— « إنك لجريئة جسورة يا آنسة . . . فما عليك إلا أن تذهبي إلى السيد " إسحق بوكستل " فهو مقيم في فندق " البطة البيضاء " وتسأليه ما تريدين . . . مع السلامة ياآنسة . . . إنى مضطرّ أن أتم تقريرى وأطلب دفع مبلغ الجائزة للفائز في هذا الكشف العظيم ... مع السلامة ! »

وهمّ الرئيس أن يستدعي الحاجب ليريها طريق الخروج ، ولكن شُغِل عن ذلك بجلَبة ملأت الشارع ، وهُتاف يشق عنان السماء . فنهض يستقصي الخبر ، ففتح الباب وجرى إلى بهو الاستقبال ليطلّ منه على الشارع ، فلم يكد يتجاوز عتبة البهو حتى فُتح الباب المقابل ، ودخل منه شاب أنيق يتبعه ضابطان . فما إن رآه الرئيس حتى هُرع إليه محييًا مسلمًا ، وانحنى أمامه وهو يقول :

— « مولاى الأمير هنا ؟ إنه لشرف عظيم يا مولاى . . . » فقال له « جيّوم دورانج » :

— « إنى رجل هولندى . . . أحب الماء والأزهار ، وأوثر الزنبق على ما عداه . . . ولقد انتهى إليّ وأنا في " ليدن " أن مدينة " هارلم " قد حظيت أخيراً بالزنبقة السوداء ، فجئت أقف على أنبائها من رئيس الجمعية



الزّراعية . . . ألديك هذه الزنبقة ؟ » فقال الرئيس :

— « إنى آسف يا مولاى ، فالزنبقة ليست هنا » . فقال الأمير :

— « وأين هى ؟ » فقال الرئيس :

— « عند صاحبها السيد " إسحق بوكستل " فهو رجل من مدينة " دوردرخت " مقيم الآن فى فندق " البطة البيضاء " فلو شاء مولاى دعوته إليه فى الحال » . فقال الأمير :

— « أبلغه أن يحضر . . . » فقال الرئيس :

— « سمعاً وطاعة يا مولاى ... ولكن هناك مَنْ يدّعى أنه صاحب تلك الزنبقة ، فلعل ضخامة مبلغ الجائزة قد دفع بعض النفوس الصغيرة إلى مثل هذا الادّعاء بل إلى مثل هذه الجريمة جريمة الاغتصاب . . . » فقال الأمير :

— « ألديك براهين تدين المجرم ؟ » فقال الرئيس :

— « كلا يا مولاى . . . فالمجرم إنما هو فتاة غضّة الشباب . . . » فقال الأمير :

— « وما برهانها على امتلاك الزنبقة ؟ » فقال الرئيس :

— « هممتُ باستجوابها لماشَرّفْت الدار يامولاى . . . » فقال الأمير :

— « هيا بنا إليها نسمع براهينها ، ولا تنادنى باسمى ، وادخل أنت أولاً » .

فأذعن رئيس الجمعية لمشيئة الأمير وأقبل على « روزا » وقال لها :
— « تكلمى أمام هذا السيد ، فهو عضو فى الجمعية الزراعية » .
فقالت « روزا » :
— « لقد أفضيتُ إليك بكل ما عندى ، وليس لى إلا أن أكرر الرجاء ، وألتمس منك دعوة السيد " بوكستل " إلى هنا مصحوبًا بزنبقته ، فإن ظهر لى أنها ليست زنبقتى أعلنت ذلك فى صدق وصراحة ، ولكن إذا تأكدت أنها زنبقتى فسوف أطالب بها علنًا وعلى رؤوس الأشهاد ولو اضطرنى الأمر إلى أن ألجأ إلى عدالة الأمير " جيّوم دورانج " ... »

فقال لها الرئيس :

— « أعندك براهين يا فتاتى ؟ » فقالت « روزا » :

— « إن الله العالم بخفايا الصدور سيزوّدنى بالبراهين ! »

فتبادل رئيس الجمعية والأمير النظرات ، وبدا للأمير أن صوت الفتاة ليس غريبًا عليه ، فقد سمعه قبل ذلك ، فحاول أن يتذكر المكان والزمان . وأشار إلى أحد ضباطه فذهب يدعو " بوكستل " إلى الحضور . واستأنف رئيس الجمعية الاستجواب فقال :

— « وما الدليل على أنك صاحبة الزنبقة ؟ » فقالت « روزا » :
— « دليلى أنى زرعتها بيدى ، وتعهدتها فى غرفتى » . فقال الرئيس :
— « فى غرفتك ؟ وأين غرفتك ؟ » فقالت « روزا » :

— « فى قلعة "لاوستن" فأنا ابنة السجان » .

فأتى الأمير بحركة دلت على أنه تذكر الآن أين سمع صوت هذه الفتاة ، فأخذ يحدق إليها ليتذكر صورتها فقال الرئيس :

— « وعلى هذا فأنت عالمة بالأزهار! » فقالت « روزا » :

— « كلا يا سيدى . . . ولست أرى مندوحة من أن أطلعك وأطلع هذا السيد على سرّى . . . ما أنا إلا ابنة مسكينة من بنات الشعب ، فالزنبقة قد كشف سرّها سجين فى القلعة » . فقال الرئيس :

— « ويلك من شقيةّ... كنت إذن على صلة بسجين من السجناء » .

وطفِقَتْ « روزا » تقُص على السامعين كل قصتها مع « كرنيليوس» . فى لهجة صادقة صريحة ملكتْ عليهما لُبَّهما وفى هذه الأثناء عاد الضابط يخبر الأمير أن السيد « بوكستل » قد حضر ومعه زنبقته السوداء. ولما سمعت « روزا » صوت « إسحق بوكستل » صاحت :

— « هو هو . . . »

فأشار إليها الأمير أن تنظر إلى الزنبقة من فتحة الباب ففعلت وعادت تقول وهى تجهش بالبكاء :

— « إنها زنبقتى » .

فمشى الأمير إلى الباب وقال :

— « تفضل يا سيد "بوكستل" بالدخول ! »

فدخل « إسحق بوكستل » ووجدنفسه إزاء الأمير وجهاً لوجه فصاح :

— « سعادة الأمير ! » وصاحت « روزا » مضطربة خائفة :

— « سعادة الأمير ! »

فالتفت « بوكستل » إلى مصدر الصوت فرأى « روزا » فاضطرب من رأسه إلى أخمص قدميه ، ولكنه تمالك نفسه سريعاً فوجّه الأمير إليه الخطاب :

— « أتعرف هذه الفتاة ؟ » فقال إسحق :

— « كلا يا مولاى » . فقال الأمير يخاطب « روزا » :

— « وأنت يا آنسة أتعرفين السيد "بوكستل" ؟ » فقالت « روزا » :

— « كلا يا مولاى ؟ أنا لا أعرف السيد إسحق وإنما أعرف السيد يعقوب ، فبهذا الاسم سمى نفسه فى "لاوستّن" » فقال إسحق :

— « إن هذه الفتاة كاذبة يا مولاى ، فقد قضيت عشرين عاماً وأنا أزرع الزنابق فى مدينة "دوردرخت" » . فقال له الأمير :

— « ألم تذهب إلى " لاوستّن" ؟ » فقال إسحق :

— « لا أنكر أنى ذهبت إلى« لاوستّن» ولكننى أنكر أنى سرقت الزنبقة .

فالحقيقة يا مولاى أن هذه الفتاة قد تواطأت مع سجين فى القلعة على خرابى واغتصاب مبلغ الجائزة منى » . فقال له الأمير :

— « ومن هذا السجين الذى تزعم أنه شريك الفتاة فى المؤامرة ؟ » فقال إسحق :

— « إنه يدعى " كرنيليوس فان باول " قريب الخائن "كرناى دى ويت " » .

فمشى الأمير إلى « روزا » وقال لها :

— « ألأجل أن تلحقى بذلك الرجل كنت طلبت إلىّ أن أنقل والدك إلى قلعة " لاوستن " ؟ »

فأحنت « روزا » رأسها وقالت فى خجل :

— « نعم يا مولاى » . فقال الأمير :

— « وأوحى إليك أن ترتكبى مثل هذا الإثم ، فأضاف إلى جريمته السياسية جريمة السرقة والاغتصاب ؟ » فقالت « رزوا » :

— « مولاى ! لو عرفت ذلك الرجل لتحققت من براءته ، فهو برىء من التهمة السياسية لأن الأوراق التى كان يحفظها لديه لم يطلع عليها ولا عرف مضمونها ، وهو أيضًا برىء من تهمه السرقة لأنه صاحب الزنبقة . أما هذا الرجل فهو السارق ! » فقال لها فى برود :

— « برهنى على ما تقولين » . فقالت « روزا » :

— « تقول إنك صاحب الزنبقة ؟ » فقال إسحق :

— « نعم » . فقالت « روزا » :

« كم عدد بزورها ؟ »

فتردد إسحق فى الجواب ثم قال فى نفسه : لا بد أن يكون هناك بزرة

أخرى غير البزرتين المعروفتين ، وإلا ما طرحتْ علىّ مثل هذا السؤال.
فجمع قوائم شجاعته وقال :

— « ثلاث » . فقالت « روزا » :

— « وماذا فعل الله بها ؟ » فقال إسحق :

— « الأولى جفت ولم تنبت ، والثانية أعطت الزنبقة السوداء» .
فقالت « روزا » :

— « والثالثة أين هى ؟ » فقال إسحق مضطرباً :

— « والثالثة موجودة عندى فى " دوردرخت " » فقالت « روزا» :

— «أنت كاذب !» ثم التفتت إلى الأمير وقصت عليه قصة البزور الثلاث ، وكيف سحق والدها الأولى بقدمه ، وكيف اعتنت هى بالثانية حتى أنبتت هذه الزنبقة ثم قالت له :

— « أما الثالثة فها هى ذى يا مولاى ملفوفة» بنفس الورقة التى كانت تجمع البزور الثلاث كما أعطانى إياها " كرنيليوس فان باول " قبل أن يذهبوا به إلى المشنقة » .

وأخرجت من صدرها الورقة وفتحتها ، وقدمت البزرة إلى « جيوم دورانج » فتناولها منها ، وأخذ يفحصها ويطيل النظر إليها ، فخشى إسحق من سوء العاقبة فقال :

— « لقد سرقت هذه الفتاة البزرة الثالثة منى ؟ »

ونظر إلى الفتاة فرآها مشغولة بقراءة بضعة أسطر مكتوبة فى الورقة التى بقيت فى يدها ، ثم رآها قد لمعت عيناها وقدّمت الورقة إلى الأمير وهى تقول :

— « مولاى . . . مولاى . . . اقرأ . . . اقرأ بحق السماء ما هو مكتوب فى هذه الورقة » .

فأعطى « جيُوم دورانج» رئيس الجمعية الزراعية البزرة التى كانت فى يده، وتناول الورقة من « روزا » . وما إن ألقى نظرة على مضمونها حتى ارتجفت يده . وكادت تخور قواه، وترجمت عيناه عما تملكه من ألم وشفقة . ولم تكن هذه الورقة إلا الصفحة الأولى التى انتزعها « كرناى دى ويت » من الكتاب المقدس كما يذكر القراء ، وكتب عليها الرسالة التى بعث بها إلى «كرنيليوس» وحملها إليه «كراك» خادم شقيقه «جان» .

ومسح الأمير قطرات العرق التى تصبّبت من جبينه . وطوى الورقة وقال يخاطب إسحق :

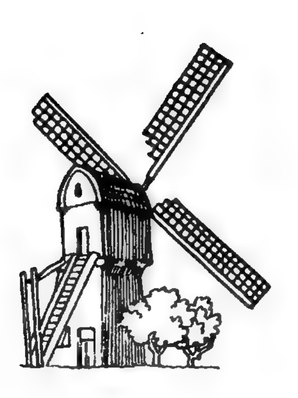
— « اذهب أيها السيد فستجرى العدالة مجراها . . . »

فحياه إسحق وانصرف إلى فندقه مطمئناً . ثم قال الأمير لرئيس الجمعية :

— « احتفظ بالزنبقة وبالفتاة . . . »

وغادر المكان فاستقبله الجمهور المحتشد فى الشارع بعاصفة من الهُتاف والتهليل ، وكانت « روزا » تناجى ربّها قائلة فى نفسها :

— « سبحانك اللهم ما أعجب حكمتك ! أوحيت إلى "كرنيليوس" فعلمني القراءة لأقرأ الدليل الناصع على براءته وأقدمه للأمير ... سبحانك اللهم سبحانك ! »





١٦

كان « كرنيليوس » فى هذه الأثناء نهبًا مقسمًا للأحزان والأشجان ، فقد انقطعت « روزا » عن زيارته ، وها قد مضى عليه ثلاثة أيام بعد آخر مرة رآها فيها ، ولا يعلم من أمرها شيئًا سوى أن والدها أخذ يغلظ له فى القول ، ويسيء معاملته ، ويتّهمه بأنه تواطأ مع الشيطان لخطف ابنته . وكان يخيّل إلى « كرنيليوس » أن السجان غير صادق فى مزاعمه وأنه حبس « روزا» فى إحدى غرف القلعة ليمنعها من رؤيته ؟

وفى صباح اليوم الثالث جاءه السجان وأوسعه شتمًا وسبابًا على عادته ، وبينما كان يكيل لسجينه الشتائم ، إذ سمع وقع أقدام كثيرة على

السلّم المفضى إلى محبس « كرنيليوس » ثم رأى بعد لحظة قصيرة ثُلّة من الجند يتقدّمهم ضابط كبير ، فلما وصلوا إلى المحبس اقترب الضابط من السجان وقدم له نفسه على أنه أمين الأمير « جيوم دورانج » . فارتعد السجان وسرت رعدته إلى « كرنيليوس » فقد أوجس شرًّا من قدوم ضابط الأمير إلى ذلك السجن ، ولكنه عاد فتملك شعوره وقال فى نفسه : ليكن ما يكون فما قيمة الحياة إذا فقدتُ الزنبقة السوداء وفقدتُ معها « روزا » الحبيبة . غير أنه دهش مع ذلك عند ما سمع الضابط يقول للسجان :

— « أرجو أن تقودنى يا حضرة السجان إلى غرفة "كرنيليوس فان باول" . فقال له السجان :

— « إنك واقف فيها يا سيدى الضابط » .

فالتفت الضابط إلى « كرنيليوس » وقال :

— « هل أنت يا سيدى "كرنيليوس فان باول" ؟ » فقال « كرنيليوس » .

— « نعم يا سيدى » . فقال الضابط :

— « تفضّل واتبعنى » .

واستدار الضابط وتبعه « كرنيليوس » محاطًا بالجند ، وبقى السجان فاغراً فاه دهشة وذهولاً واستياء. فقد أيقن أن القوم سائرون بسجينه إلى المشنقة فودّ لو شهد موت سجينه ، ليطفئ من قلبه نار الحقد والانتقام . ولما وصل القوم إلى باب السجن وخرجوا منه ، كانت هناك مركبة

تنتظر ، فأشار الضابط إلى « كرنيليوس » أن يصْعَد إليها ، فصَعِد وجلس فى صدرها ، ثم جلس الضابط إلى يمينه ، وسارت المركبة تجرها جياد أربعة أصيلة .

وكم حاول « كرنيليوس » فى أثناء الطريق أن يعلم إلى أين يسوقونه ولماذا ؟ فبقيت كل أسئلته بلا جواب ... وما زالت المركبة تخُبُّ بها الجياد حتى وصلت فى ضحى اليوم التالى إلى مدينة « هارلم » . حيث تركنا « روزا » فى مكتب رئيس الجمعية الزراعية .

بقيت « روزا » فى ذلك المكتب حتى المساء ، فجاءها ضابط يدعوها إلى مقابلة الأمير « جيوم » فذهبت إليه آملة مضطربة . ولما مثلت بين يديه كان منهمكًا بالكتابة فأشار إليها بالجلوس فى مقعد قريب منه فجلست ، وتابع هو الكتابة حتى فرغ مما أراد أن يكتب فقال لها :

— « حدّثيني كيف عرفت السجين " كرنيليوس فان باول " ؟

فحدّثته « روزا » بقصتها مع السجين فقال لها :

— « أتحبينه يا آنسه ؟ » فقالت :

— « نعم يا مولاى ... أحببته منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها ... » فقال لها :

— « وماذا يجديك أن تحبي رجلاً قُضِيَ عليه أن يحيا ويموت فى السجن ؟ » فقالت :

— « لئن قُضِيَ عليه بذلك ليكونن حبي إياه عونًا له على احتمال المكاره » . فقال :

— « أيرضيك أن تكونى زوجة سجين ؟ » فقالت :

— « لو كنت زوجة " كرنيليوس فان باول " لملأنى ذلك فخراً وسروراً . . . ثم إنى . . . »

فقال لها الأمير :

— « ثم إنك ماذا ؟ » فقالت وهى متهللة الوجه :

— « لا أجرؤ على الكلام يا مولاى » . فقال :

— « إن فى كلامك وطلعتك شعوراً بشىء تأمُلينه فماذا تأمُلين ؟ »

فنظرت إليه بعينين دامعتين راجيتين كمن يحرك عاطفة الحلم الراقدة فى أعماق فؤاده فقال :

— « لقد فهمت . . . »

ثم ختَم الأمير الرسالة التى كان يكتبها ، ونادى أحد ضباطه فسلمه الرسالة وقال له :

— « اذهب بهذه الرسالة إلى محافظ " لاوستَن " ونفذ ما تطلِّع عليه فيها من أوامر » .

فأخذها الضابط وانطلق مسرعًا . ثم التفت الأمير إلى « روزا » وقال :

— « بعد غد يُحتَفَل فى هذه المدينة بعيد الأزهار ، فخذى هذه الجمسمائة "فلوران" وتجملى بها فإنى أريد أن تكونى هانئة سعيدة فى ذلك اليوم الهانئ السعيد » .

وفى اليوم الموعود ، لبست مدينة « هارلم » أجمل زينتها ، وخرج الناس زرافات يحتفلون بعيد الأزهار ، ولا سيما أن ذلك اليوم كان الموعد المضروب لمنح الجائزة المخصصة لمن يُفْلح فى إنبات الزنبقة السوداء .

وأقيمت فى أحد ميادين المدينة ، منصّة كبيرة جلس فيها الأعيان والكبراء وقواد الجيش ، وبينهم أعضاء الجمعية الزراعية . وكان فى وسط المنصة مِنْضَدَة عالية مجلّلة بالحرير والمخمل ، وضعت عليها الزنبقة السوداء تتهادى بجمالها البارع ، وعودها النّضِر الطويل ، ووضع إلى جانبها صرّة تحتوى على مبلغ الجائزة .

وأشيع أن الأمير « جيوم » سيشهد الاحتفال ، وسيمنح هو نفسه الجائزة لمستحقها ، فلا عجب إذن إن اشرأبَّت الأعناق وشَخَصَت الأبصار إلى ذلك الرجل السعيد الذى سيظفر بالمال والتكريم .

عرف الجمهور أن الفائز هو « إسحق بوكستل » الجالس فوق المنصّة مع الكبراء والأعيان ، فكان يتحدّث عنه فى إجلال وإكبار ، وينظر إليه نظرات الشكر والثناء والإعجاب ، فالهولنديون قومٌ يحبُّون الأزهار ، ويحبون من يحبها .



وكان إسحق يوزّع نظراته بين الزنبقة السوداء ، والصرّة التى إلى جانبها فيلعب بفؤاده الفرح . وكان بعد ذلك يجيل طرفه فى الجموع المحتشدة مبيّناً فاحصاً فأيقن أن « روزا » غير موجودة فى ذلك الحشد فارتاح قلبه وازداد فرحه .

ودوّى المكان فجأة بالتصفيق ، وانطلقت العقائر هاتفةً مهلّلة ترحب بالأمير ، وكان موكبه قد وصل إلى أول الميدان ، وفى تلك اللحظة نفسها كانت مركبة من المركبات تسير فى الطريق القائم على جانب الميدان، حاملة « كرنيليوس » وحارسه . فمدّ « كرنيليوس » رأسه من نافذة المركبة ، فشاهد تلك الجموع الزّاخرة فسأل حارسه الذى لم يجب قطّ عن سؤال من أسئلته طول الطّريق :

— « ما هذا يا سيدى الضابط ؟ فقال الضابط :

— « كما ترى . . . إنه عيد من الأعياد » . فقال « كرنيليوس » :

— « ألسنا فى مدينة " هارلم " » ؟ فقال الضابط :

— « نعم » . فقال « كرنيليوس » :

— « أهو عيد الأزهار ؟ » فقال الضابط :

— « نعم » .

ثم أمر الضابط سائق المركبة بالوقوف وقال :

— « قف قليلاً حتى يستطيع السيد " كرنيليوس " أن يمتع نظره

بالعيد وأصحابه ولا سيما بالوردة التي يحتفلون بها اليوم » .

فشكره « كرنيليوس » وسأله قائلاً :

— « وبأية وردة يحتفلون ؟ » فقال الضابط :

— « بالزنبقة السوداء ، فاليوم موعد منح الجائزة المخصّصة لها » . فاحمرّت وجنتا « كرنيليوس » عند سماعه هذا الكلام ، وتفصّد جبينه عرقًا وارتجف بدنه ارتجافًا ظاهراً وقال :

— « عبثًا يحتفلون ، فالزنبقة السوداء قد فقدت وليس إلا شخص واحد يستطيع العثور عليها » . فقال له الضابط :

— « الزنبقة السوداء هي هنا يا سيدى. . . انظر إلى المنصّة المنصوبة هناك تجدها تتخايل فى إنائها فوق المنضدة، فلعل الشخص الذى يستطيع العثور عليها قد وجدها . . . »

فتطلّع « كرنيليوس » إلى المنصّة فلاحت له الزنبقة السوداء ، فألحّ على الضابط أن يسمح له بالنزول ليقترب منها ويراها بأمّ العين » .

فقال له الضابط :

— « تطلب المحال . . . حذار . . . فها هى ذى مركبة الأمير " جيوم دورانج " تقترب منا . . . » .

وكانت مركبة الأمير قد اقتربت من المركبة التى تحمل « كرنيليوس » ، فعمد هذا إلى استرحام الأمير ليسمح له برؤية الزنبقة السوداء ، فلم يفهم

الأمير شيئًا من كلام « كرنيليوس » فوقف مركبته وسأل :

— « من هذا ؟ »

فترجل الضّابط الذى يحرس « كرنيليوس » وركض توًّا إلى الأمير وقال له :

— « إنه يا مولاى السجين الذى أمرت أن أجىء به إلى "ها رلم" » .

فقال الأمير :

— « وماذا يريد ؟ » فقال « كرنيليوس » وقد ترجل هو أيضًا وسار إلى الأمير :

— « أن أرى الزنبقة السوداء يا مولاى ... فمتى رأيتها وعلمت ما أحبّ أن أعلم ، فإنى أسير إلى الموت ناعم البال مطمئنًّا » . فقال الأمير :

— « يسمح للسجين بمشاهدة الزنبقة السوداء » .

فخرّ « كرنيليوس » راكعًا ، وشكر للأمير عطفه ومروءته وتابع الأمير سيره إلى حيث أقيمت المنصّة . . .





١٧

مشى « كرنيليوس » يخترق صفوف الناس حتى أصبح على مقربة من المنصّة ، وشخصت أبصار الناس فى تلك اللحظة إلى الأمير « جيُّوم » وكان قد نهض من مكانه ، وسرّح بصره فى الجمهور فشغلته منه ثلاث زوايا : رأى فى زاوية أولى « إسحق بوكستل » يلوح عليه الجزع وقلّة الصبر ، ورأى فى زاوية ثانية « كرنيليوس » يلهث من التعب ولا يرفع نظره عن الزنبقة السوداء ، ورأى فى زاوية ثالثة « روزا » متجملة متزينة قد وقفت بين عذارى « هارلم » الحسان وهى متكئة على ذراع ضابط من ضباط الأمير حذَرَ السقوط من التأثر والإعياء .

وتقدّم الأمير إلى وسط المنصّة وفى يده رَقٌ ملفوفٌ فنشره وقال :

— « تعلمون أيها السادة لماذا اجتمعتم اليوم فى هذا المكان . . . إن جائزة قدرها مئة ألف " فلوران " قد خُصِّصت لمن يعثر على الزنبقة السوداء . . . لقد عُثر على الزنبقة السوداء ، وها هى ذى معروضة أمام أعينكم . . . إن تاريخها واسم مخترعها سيسجلان فى سفْر المدينة الذهبى فليتقدم إذن صاحبها . . . »

وعاد الأمير يسرّح بصره بالزوايا الثلاث ، فرأى « إسحق بوكستل » يتقدّم وسط المنصة ، ورأى « كرنيليوس » يأتى بحركة عفوية ، ورأى الضابط المكلف حراسة « روزا » يقودها إلى المنصّة .

فما كادت تقترب من الأمير حتى سمع الناس رجلين يصيحان معًا فى وقت واحد « روزا » . وكان إسحق المضطرب ، و « كرنيليوس » المدهوش . فقال الأمير يخاطب « روزا » :

— « هذه الزنبقة السوداء أنت صاحبتها يا آنسة ؟ »

فقابل الجمهور « روزا » بعاصفة من التصفيق مأخوذاً بجمالها الرائع ، وقال « كرنيليوس » فيما بينه وبين نفسه . لقد كانت كاذبة عند ما ادّعت أن الزنبقة قد سرقت منها . . . عرفتُ إذن السبب الذى من أجله هربت من القلعة . . . وأنا الذى وثقت بحبها وإخلاصها . . . أما إسحق فقد



أيقن أنه هالك. . . فاستأنف الأمير حديثه وقال :

— « هذه الزنبقة ستسمى باسم مخترعها وتسجل فى قائمة الأزهار باسم " روزا كرنيليوس " وهو اسم منحوت من اسم هذه الفتاة واسم الشاب الذى ستزفّ إليه » .

وأخذ « جيُّوم دورانج » يد الفتاة ووضعها فى يد شاب كان قد اندفع إلى المنصّة شاحب اللون ، زائغ البصر ، وركع أمام الأمير والفرح يكاد يقضى عليه .

وفى الوقت نفسه سُمع فى مكان آخر من المنصة صوت جسم يسقط عند قدمى رئيس الجمعية الزراعية وكان جسم « إسحق بوكستل » فهُرِع بعضهم إليه وجسوا نبضه فإذا هو قد فارق الحياة . . .

ونظر إليه « كرنيليوس » فعرف فيه جاره « إسحق بوكستل » فاستغرب من فعلته ، ودعا له بالرحمة والغفران .

وأشار الأمير إلى الصرّة التى تحوى مبلغ الجائزة فقال يخاطب « كرنيليوس » .

— « لست أدرى أيكما صاحب هذه الجائزة ؟ أأنت الذى كشفت الزنبقة السوداء أم "روزا" التى غرستها وتعهدتها وجعلتها تزكو وتزدهر . فباسم مدينة " هارلم " أمنح الآنسة " روزا " المبلغ ، ولها هى أن تمنحك



إياه كبائنة لزفافها إليك. . . واعلم آنه لولا استقامة " روزا " وشجاعتها وحبها إياك لما ظهرت لنا براءتك من التهم التى نسبت إليك . . . »

وقدّم الأمير إلى « كرنيليوس » الصفحة الأولى من الكتاب المقدس، وهى الصفحة التى كان «كرناى دى ويت » قد كتب عليها رسالته إلى « كرنيليوس » ثم لُفَّت فيها البزرة الثالثة وقال له :

ــ « أنت حرٌ طليق يا سيد " كرنيليوس " وسوف تعاد إليك أموالك وأملاكك المصادرة ، إنك من أسرة الرجلين العظيمين « كرناى وجان دى ويت » فحافظ على تقاليدهما الوطنية ، وتأثرهما فى خدمة بلادك . . . لقد أخطأ الرأى العام فى الحكم عليهما والاقتصاص منهما ، فى حين أنهما مثال رائع للوطنية تزهى به البلاد وتفتخر . . . »

وترك الأمير « كرنيليوس » و « روزا » فى قلب خافق دهشةً وسروراً ، وفى أعينٍ دامعة ، وخفّ إلى مركبته فانطلقت به وبحرسه وغابت بعد دقائق عن الأنظار . . .

وزُفت « روزا » إلى « كرنيليوس » وعاشا فى مدينة « دوردرخت » مسقط رأس « كرنيليوس » وكانت « روزا » تساعد زوجها على العناية بالأزهار والرياحين . . .

ولحق بهما أبوها فعاش معهما بعد إذ رضى كلٌ الرضى عن صهره ، وبعد إذ تبينت له خيانة صديقه يعقوب أو إسحق ، واستقال من منصب حارس السجن ليصبح حارس الأزهار والزنابق فى حديقة ابنته « روزا » وزوجها العزيز . . . .



أولاد

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام .

صدر منها :

١ – عمرون شاه
٢ – مملكة السحر
٣ – كريم الدين البغدادى
٤ – آلة الزمن
٥ – الأمير والفقير
٦ – كتاب الأدغال
٧ – بينوكيو
٨ – نبوءة المنجم
٩ – روبن هود
١٠ – دون كيشوت
١١ – ايفنهو
١٢ – جزيرة الكنز
١٣ – كنوز الملك سليمان
١٤ – سجين زندا
١٥ – الزنبقة السوداء
١٦ – مون فليت
١٧ – مقبرة الأفيال
١٨ – الربان بلود
١٩ – تيودورا
٢٠ – أوليفر تويست
٢١ – دافيد كوبر فيلد
٢٢ – فى مهب الريح
٢٣ – الفخ الذهبى
٢٤ – عودة المحارب
٢٥ – حصان طروادة
٢٦ – نساء صغيرات
٢٧ – توم سوير
٢٨ – الأربعة الذين سرقوا الزمن
٢٩ – الربان الجرىء
٣٠ – العم نعناع
٣١ – أم حنان
٣٢ – كوخ العم توم
٣٣ – سميراميس
٣٤ – بامبى
٣٥ – صديقى فوق الشجرة
٣٦ – الطفلة المدللة
٣٧ – الارض الغامضة

رقم الإيداع	١٩٩٨/١٧٢٦٤
الترقيم الدولى	977-02-5715-X ISBN

٧/٩٨/٦٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)